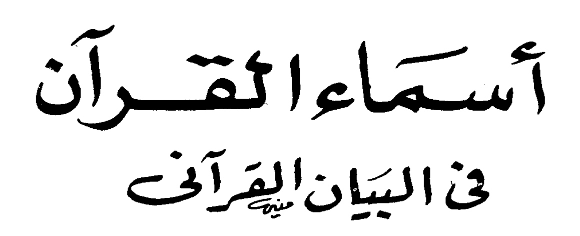
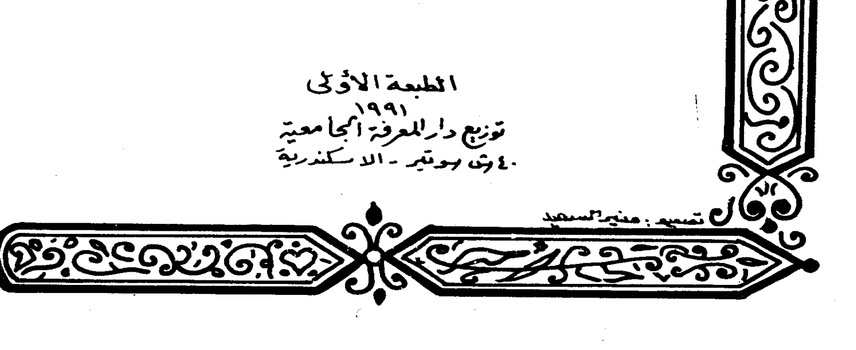


أسماء القرآن

في البيان القرآني

دكتور
محمود سعد
أستاذ الدراسات الإسلامية في
كلية الآداب - بنها



الطبعة الأولى
١٩٩١
توزيع دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - الاسكندرية

تصميم : منير السعيد



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الرحمن علم القرآن ـ خلق الإنسان علمه البيان ﴾ (١) .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" خيركم من تعلم القرآن وعلمه " (٢) .

---

(١) سورة الرحمن ـ ١ ، ٣ .
(٢) البخاري في فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ج ٩ / ٦١ ـ ٦٧ (وللبخاري أيضا : إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه) والترمذي في أبواب ثواب القرآن ، باب ما جاء في تعليم القرآن رقم ٢٩٠٩ وللترمذي (خيركم وأفضلكم من تعلم القرآن وعلمه) ، وأبو داود في الصلاة ، باب ثواب قراءة القرآن رقم ١٤٥٢ .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الحمد لله خلق الإنسان وكرمه ، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له « الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان » والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ، أو كماله فى أمر من الأمور اما ترى ان كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته ، وكثرة أسماء يوم القيامة دلت على كمال شدته وصعوبته ، وكثرة أسماء الداهية دلت على شدة نكايتها . وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت على علو رتبته وسمو درجته . وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه وفضيلته .

وقد خص الله تعالى القرآن الكريم دون سائر الكتب السماوية الأخرى بعدة أسماء ، هذا إلى جانب بعض الأوصاف التى وجدت كصفات لتلك الأسماء ، حتى إن بعض العلماء قد اوصلها إلى نيف وتسعين إسما . وقد أشرت إلى تلك الأسماء وصفاتها ورايت ان اقسمها إلى قسمين :-

الأول : وتحدثت فيه عن الأسماء الأربعة المشهورة وهى : القرآن والكتاب والفرقان والذكر ، ثم اشرت إلى كل صفة لكل اسم من الأسماء الأربعة .

والقسم الثانى : وشمل عدة أسماء أو صفات أخرى للقرآن الكريم وردت فى البيان القرآنى .

هذا وقد استفدت استفادة كبيرة بما ذكره الفيروز ابادى فى كتابه : "بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز" وبما ذكره السيوطى فى كتابه : "الإتقان" وكذلك ما ذكره

الزركشي في "البرهان في علوم القرآن" . ولكني حاولت أن اعرض الأسماء المتفق عليها اولا ثم بعد ذلك ذكرت الأسماء - او الصفات - الأخرى للقرآن - كما حاولت الاستفادة ايضا بما جاء د في كتب التفسير المختلفة مؤيدا او رافضا للاسم - أو الصفة المذكورة - للقرآن الكريم - مستعينا في ذلك بما اورده علماء التفسير واللغة في كتب التفسير المختلفة .

كما تناولت ايضا توثيق النصوص وتأصيلها ، والله سبحانه وتعالى اسأل ان يجعل هذا العمل خالصا لذاته وان ينفع به طلاب العلم بصفة خاصة وكل قارئ بصفة عامة ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه انيب .

عبد النبي حسين سعد
استاذ الدراسات الإسلامية المساعد
كلية الآداب - جامعة بنها

القسم الأول

الأسماء الأربعة المشهوره للقرآن

- القرآن
- الكتاب
- الفرقان
- الذكر

تسمية القرآن قرآنا

قال أبو جعفر الطبرى : إن الله تعالى ذكره سمى تنزيله الذى أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم أسماء أربعة (١) : القرآن ، والكتاب ، والفرقان ، والذكر ، وفيما يلى بيان تلك الأسماء :

١ - القرآن (٢) :-

قال الله تعالى ذكره فى تنزيله ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ (٣) وقال : ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾ (٤) وقال : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن ﴾ (٥) وقال : ﴿ إن هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون ﴾ (٦) وقال : ﴿ الرحمن علم القرآن ﴾ (٧) إلى غير ذلك من الايات الكريمة التى ورد فيها ذكر هذا الاسم .

واختلف المفسرون فى تأويل هذا الاسم ، يقول الطبرى : "إن الواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس - رضى الله عنه - من التلاوة والقراءة ، وأن يكون مصدرا من قول القائل : قرأت ، كقولك : "الخسران" من "خسرت" و "الغفران" من "غفر الله لك" و "الكفران" من "كفرتك" .

وذلك أن يحيى بن عثمان بن صالح السهمى حدثنى قال :

---

(١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ج ١ / ٩٤ .

(٢) جاء لفظ القرآن فى القرآن الكريم ٧٠ مرة (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة قرأ ص ٥٤٠ .

(٣) النحل / ٩٨ . (٤) الإسراء / ٩ . (٥) يوسف / ٣

(٦) النمل / ٧٦ . (٧) الرحمن / ١ - ٢

حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن ابي طلحة ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ فإذا قرأناه ﴾ يقول : بيناه ، ﴿ فاتبع قرآنه ﴾ (١) يقول : اعمل به .

ومعنى قول ابن عباس هذا : فإذا بيناه بالقراءة ، فاعمل بما بيناه بالقراءة ، مما يوضح صحة ما قلنا في تاويل حديث ابن عباس رضي الله عنهما - هذا ما حدثني به محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عباس : ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ قال : أن نقرئك فلا تنسى ، ﴿ فإذا قرأناه ﴾ عليك : ﴿ فاتبع قرآنه ﴾ يقول : إذا تتلى عليك فاتبع مافيه (٢) فقد صرح هذا الخبر عن ابن عباس : أن معنى "القرآن" عنده القراءة ، فإنه مصدر من قول القائل : "قرأت" على ما بيناه (٣) .

وقال قتادة : إن الواجب أن يكون مصدرا من قول القائل : قرأت الشيء إذا جمعته ، وضممت بعضه إلى بعض ، كقولك : "ما قرأت هذه الناقة سلى قط" (٤) تريد بذلك أنها لم تضم رحما على ولد ، كما قال عمر بن كلثوم التغلبي :

---

(١) القيامة / ١٨ .

(٢) البخاري في تفسير سورة القيامة ، باب "إن علينا جمعه وقرآنه" ج ٨/ ٥٢٣ - ٥٢٤ وباب "فإذا قرأناه فاتبع قرآنه" وفي بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ج ١/ ٢٨ وفي فضائل القرآن ، باب الترتيل في القراءة ، وفي التوحيد ، باب قوله تعالى: (لا تحرك به لسانك لتعجل به).

(٣) تفسير الطبري ج ١ / ٩٤ - ٩٥ .

(٤) السلى : الجلدة الرقيقة التي يكون الولد في بطن أمه ملفوفا فيها ، وهو في الدواب والإبل : السل وفي الناس : المشيمة .

تريك إذا دخلت على خلاء * وقد امنت عيون الكاشحينا
ذراعى عيطل أدماء بكر * هجان اللون لم تقرأ جنينا (١)

يعنى بقوله : "لم تقرأ جنينا" لم تضم رحما على ولد.

وروى عن قتادة في قوله تعالى : « إن علينا جمعه وقرآنه » (٢) قال : حفظه وتأليفه « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » (٣) اتبع حلاله ، واجتنب حرامه ، فرأى قتادة أن تأويل "القرآن" التأليف (٤) .

وقال الزجاج : هو وصف على "فعلان" مشتق من القرء ، بمعنى الجمع ، ومنه قرأت الماء في الحوض أى جمعته .

وقال أبو عبيده : وسمى بذلك ، لأنه جمع السور بعضها إلى بعض .(٥)

وقال آخرون : أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا

---

(١) من معلقته المشهورة . والضمير فى قوله "تريك" إلى عمرو وصاحبته . والكاشح : العدو المضمر العداوة ، المعرض عنك بكشحه . وقوله : "على خلاء" أى على غرة وهى خالية مبتذلة . والعطيل : الناقة الطويلة العنق فى حسن منظر وسمن . والأدماء : البيضاء مع جواد المقلين ، وخير الابل الأرم والعرب تقول : قريش الابل أدمها وصهبها ، يعنون أنها فى الابل كقريش فى الناس فضلا ، ووصفها بأنها بكر لأن هذا أحسن لها ، وهى فى عهدها ذلك ألين وأسمن . وهجان اللون : بيضاء كريمة .

(٢) القيامة / ١٧ . (٣) القيامة / ١٨ .

(٤) تفسير الطبرى ج ١ / ٩٦ والتفسير الكبير للرازى ج ٣٠ / ٢٢٤ المجلد (١٥) .

(٥) الإتقان فى علوم القرآن ج ١ / ٥٢

ضمته إليه فسمى بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه ، ومنه قيل للجمع بين الحج والعمرة : قران ، وإلى هذا ذهب الأشعرى .

وقال القرطبى : القرآن بغير همز مأخوذ من القرائن ، لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا ويشابه بعضها إلى بعض ، فهى حينئذ قرائن (١) .

وقال الزجاج : هذا القول سهو ، والصحيح ان ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها (٢) .

وقال جماعة من العلماء هو اسم غير مشتق من شىء ، بل هو اسم خاص بكتاب الله تعالى .

وفى تاريخ بغداد للخطيب فى ترجمة الشافعى قال : "وقرأت القرآن على إسماعيل بن قسطنطين ، وكان يقول : "القرآن" اسم وليس مهموزا ، ولم يؤخذ من : "قرأت" ولو اخذ من "قرأت" لكان كل ما قرئ يسمى قرآنا ، ولكنه اسم للقرآن مثل : التوراة والانجيل (٣) .

قال الواحدى : قول الشافعى هو اسم لكتاب الله ، يعنى أنه اسم علم غير مشتق ، كما قال جماعة من الأئمة (٤) .

---

(١) البرهان فى علوم القرآن ج ١ / ٢٧٨ .
(٢) الإتقان فى علوم القرآن ج ١ / ٥٢ والبحر المحيط لأبى حيان التوحيدى ج ٨ / ٣٨٧ والبرهان فى علوم القرآن للزركشى ج ١ / ٢٧٨ .
(٣) تاريخ بغداد ج ٢ / ٦٢ .
(٤) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج ١ / ٢٧٨ .

وكان ابن كثير يقرأ بغير همز ، وهى قراءة الشافعى - رضى الله عنه - أيضا ، قال البيهقى رحمه الله تعالى : كان الشافعى - رضى الله عنه - يهمز "قرأت" ولا يهمز "القرآن" ويقول : هو اسم لكتاب الله غير مهموز ، ولم يؤخذ من قرأت ، ولكنه اسم لكتاب الله تعالى ، مثل التوراة والانجيل (١) .

وقال بعض المتأخرين : لا يكون "القرآن" و "قرأ" مادته بمعنى "جمع" ، لقوله تعالى : ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ (٢) فغاير بينهما ، وإنما مادته "قرأ" بمعنى أظهر وبين ، والقارىء يظهر القرآن ويخرجه ، والقرء الدم لظهوره وخروجه ، والقرء : الوقت ، فإن التوقيت لا يكون إلا بما يظهر (٣) .

مما سبق يتبين لنا أن العلماء قد اختلفوا فى تحقيق لفظ "القرآن" على النحو الآتى :-

فروى عن بعضهم أنه مشتق ، وهؤلاء انقسموا إلى فريقين :

فقال جماعة منهم أنه مشتق من قرنت الشىء بالشىء إذا جمعته إليه وسمى به عندهم لقران السور والآيات والحروف فيه بعضها ببعض .

وقال آخرون إنه مشتق من القرائن ، لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضا ، وهو على هذين القولين بلا همز ونونه أصلية .

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن ج ١ / ٥٢ .
(٢) القيامة / ١٧ .
(٣) روح المعانى للآلوسى ج ١ / ٨ والبرهان فى علوم القرآن للزركشى ج ١ / ٢٧٧ .

وغلط الزجاج هذا القول وقال : هذا القول غلط ، والصواب أن ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ، ونقل حركتها إلى ما قبلها ، فهو عنده وصف مهموز على « فعلان » مشتق من القرء بمعنى الجمع ومنه قرأت الماء فى الحوض إذا جمعته ، وسمى به ، لأنه جمع السور ، كما قال أبو عبيدة ، أو ثمرات الكتب السالفة ، كما قال الراغب ، أو لأن القارئ يظهره من فيه أخذا من قولهم ، ما قرأت الناقة .

وعند جماعة من العلماء هو مصدر كالغفران سمى به المقروء تسمية المفعول بالمصدر .

واختار السيوطى قول الشافعى رضى الله عنه حيث يقول : "والمختار عندى فى هذه المسألة قول الشافعى رضى الله عنه (١)

وقال الألوسى : قول الزجاج أرق من وجه ، إذ الشائع فيه الهمز ، وبه قرأ السبعة ما عدا ابن كثير ، وكان قول السيوطى محض تقليد لإمام مذهبه ، حيث لم يذكر الدليل ولم يوضح السبيل ، وعندى أنه فى الأصل وصف ، أو مصدر كما قال الزجاج لكنه نقل وجعل علما شخصيا كما ذهب إليه الشافعى رضى الله عنه ومحققو الأصوليين وعليه لا يعرف القرآن ، لأن التعريف لا يكون إلا للحقائق الكلية ، ولعل من عرفه بالكلام المنزل للإعجاز بسورة منه ، أراد تصوير مفهوم لفظ القرآن (٢) .

واختار الطبرى قول ابن عباس رضى الله عنهما وقول قتادة ، حيث قال : "ولكلا القولين اللذين حكيناهما وجه صحيح فى كلام العرب ، غير أن أولى قوليهما بتأويل قول الله

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ج ١ / ٥٢ .

(٢) روح المعانى للألوسى ج ١ / ٨ .

تعالى : « إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » (١) قول ما أوحى إليه ولم يرخص له فى ترك اتباع شىء من أمره إلى وقت تأليفه القرآن له . فكذلك قوله : « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » نظير سائرهما فى آى القرآن التى أمره الله فيها باتباع ما أوحى إليه فى تنزيله .

ولو وجب أن يكون معنى قوله « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » فإذا ألفناه فاتبع ما ألفناه لك فيه - لوجب أن لايكون كان لزمه فرض « اقرأ باسم ربك الذى خلق » (٢) ولا فرض : « يا أيها المدثر قم فأنذر » (٣) قبل أن يؤلف إلى ذلك غيره من القرآن . وذلك ان قاله قائل خرج من قول أهل الملة .

وإذا صح أن حكم كل آية من آى القرآن كان لازما النبى صلى الله عليه وسلم اتباعه والعمل به . مؤلفة كانت أو غير مؤلفة - صح ما قال ابن عباس فى تأويل قوله تعالى : « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » أنه يعنى به : فإذا بيناه لك بقراءتنا . فاتبع ما بيناه لك بقراءتنا - دون قول من قال : معناه ، فإذا ألفناه فاتبع ما ألفناه لك .

وقد قيل : إن قول الشاعر :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به - يقطع الليل تسبيحا وقرآنا (٤)

يعنى به قائله : تسبيحا وقراءة .

---

(١) القيامة / ١٧ - ١٨ . (٢) العلق / ١ . (٣) المدثر / ١ - ٢

(٤) البيت لحسان بن ثابت رضى الله عنه ديوانه ص ٤١٠ . وجامع البيان فى تفسير آى القرآن ، لابن جرير الطبرى .

وضحى : ذبح شاته ضحى النهر وهى الأضحية ، واستعارة حسان بن ثابت لمقتل بن عفان رضى الله عنهما فى ذى الحجة سنة ٣٥ هـ .

والعنوان : الأثر الذى يظهر ليستدل به على الشىء .

وأورد على ذلك : كيف يجوز أن يسمى « قرآنا » بمعنى القراءة ، وإنما هو مقروء ؟ .

واجيب عن ذلك بانه كما جاز أن يسمى المكتوب كتابا ، بمعنى كتاب الكتاب ، كما قال الشاعر فى صفة كتاب طلاق كتبه لامرأته :

تؤمل رهبة من وفيها .. كتاب مثل ما لصق الغراء

يريد به طلاقا مكتوبا ، فجعل المكتوب كتابا (١) .

والذى نخلص إليه أن القرآن فى اللغة مصدر بمعنى الجمع يقال : قرأت الشيء قرآنا أى جمعته ، وبمعنى القراءة ، يقال : قرأت الكتاب قراءة وقرآنا . ثم نقل هذا المجموع المقروء المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ، المنقول عنه تواترا فيما بين الدفتين ، المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه .

الصفات التى وردت لهذا الاسم - القرآن - فى البيان القرآنى :

وردت لهذا الاسم عدة صفات فى البيان القرآنى ، وذلك مثل : القرآن غير قابل لأن يفترى لأنه من عند الله ، والقرآن الحكيم ، والقرآن العجب ، والقرآن العربى ، والقرآن العظيم ، والقرآن الكريم ، والقرآن المبين ، والقرآن ذى الذكر ، والقرآن المجيد .

وهذا ما سنتناوله - إن شاء الله تعالى - فيما يلى :

(ا) القرآن غير قابل لأن يفترى ، لأنه من عند الله :

قال الله جل ثناؤه : « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون

---

(١) جامع البيان للطبرى ج ١ / ٩٧ .

الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين » (١)
أى مثل هذا القرآن لا يكون إلا من عند الله ، ولا يشبه هذا كلام البشر ، وهذا بيان لإعجاز القرآن الكريم ، وأنه : لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله ولا بعشر سور ولا بسورة من مثله ، لأنه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته واشتماله على المعانى العزيزة الغزيرة النافعة فى الدنيا والآخرة لا يكون إلا من عند الله الذى لا يشبهه شىء فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى افعاله واقواله ، فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين (٢) ولهذا قال : « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله » .

و « أن » مع « يفترى » مصدر ، والمعنى : وما كان هذا القرآن افتراء ، كما تقول : وما كان هذا الكلام إلا كذبا .

وقيل : إن كلمة « أن » جاءت ها هنا بمعنى اللام ، والتقدير : ما كان هذا القرآن ليفترى من دون الله ، كقوله تعالى ذكره « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » (٣) وقوله تعالى « ما كان الله ليذر المؤمنين » (٤) وقوله : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » (٥) أى لم يكن ينبغى لهم أن يفعلوا ذلك فكذلك ما ينبغى لهذا القرآن أن يفترى ، أى ليس وصفه شىء يمكن أن يفترى به على الله ، لأن المفترى هو الذى يأتى به البشر ، والقرآن معجز لا يقدر عليه البشر والافتراء افتعال من فريت الأديم إذا قدرته للقطع ، ثم استعمل فى الكذب ، كما استعمل قولهم : اختلق فلان هذا الحديث فى الكذب ،

---

(١) يونس/٣٧ .
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ / ٥٣
(٣) التوبة/١٢٢ . (٤) و (٥) آل عمران / ١٧٩ .
(٦) التفسير الكبير للرازى ج١٧/٩٩ من المجلد التاسع .

فصار حاصل هذا الكلام ان هذا القرآن لا يقدر عليه احدإلا الله عز وجل (٦) .

وعلى هذا فإن (كان) هنا إما ان تكون ناقصة ، وإما ان تكون بمعنى (ما صح) ، فإن كانت ناقصة فقوله (هذا) اسمها ، و (القرآن) نعت له أو عطف بيان ، و (ان يفترى) بتاويل المصدر ، اى افتراء خبرا (كان) وهو فى تاويل المفعول اى مفترى ، كما ذكره ابن هشام فى قاعدة ، ان اللفظ قد يكون على تقدير ، وذلك المقدر على تقدير آخر .

ومنه قوله :

لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى

وذهب بعض النحويين إلى ان (ما كان) بمعنى ما صح ، وأن فى الكلام لا ما مقدرة لتاكيد النفى ، والأصل : ما كان هذا القرآن لأن يفترى كقوله تعالى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) و "أن يفترى" خبر كان و "من دون الله" خبر ثان وهو بيان للاول ، اى ما صح ولا استقام أن يكون هذا القرآن المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع التى من جملتها هاتيك الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك صادرا من غير الله تعالى كيف كان (١) .

واستشكل بعضهم هذه الآية بان أن تخلص المضارع للاستقبال ، كما نص على ذلك النحويين ، والمشركون إنما زعموا القرآن مفترى فى الزمان الماضى كما يدل عليه ما ياتى إن شاء الله تعالى فكيف ينبغى كونه مفترى فى الزمان المستقبل .

---

(١) روح المعانى ج ١١ / ١١٦ — ١١٧ (المجلد الرابع) .

وأجيب عنه بأن الفعل فيها مستعمل فى مطلق الزمان ، وقد نص على جواز ذلك فى الفعل ابن الحاجب وغيره ، ونقله البدر الدمامينى فى شرحه لمغنى اللبيب ، ولعل ذلك من باب المجاز ، وحينئذ يمكن أن يكون نكتة العدول عن المصدر الصريح مع أنه المستعمل فى كلامهم عند عدم ملاحظة احد الأزمنة نحو "أعجبنى" قيامك" أن المجاز أبلغ من الحقيقة .

وقيل لعل النكتة فى ذلك ، استقامة الحمل بدون تأويل للفرق بين المصدر الصريح والمؤول . ولا يخفى أن فيه مخالفة ، لأن ان والفعل فى تأويل المصدر وهو فى تأويل المفعول .

وقد يجاب أيضا عن أصل الإشكال بأنه إنما فى الماضى إمكان تعلق الافتراء به فى المستقبل وكونه محلا لذلك فينتفى تعلق الافتراء به بالفعل من باب أولى وفى ذلك سلوك طريق البرهان فيكون فى الكلام مجاز أصلى أو تبعى (١) .

وقال العلامة ابن حجر : إن الآية جواب عن قولهم "ائت بقرآن غير هذا أو بدله" (٢) وهو طلب للافتراء فى المستقبل .

على أن عموم تخليص "أن المضارع للاستقبال فى حيز المنع ، لم لا يجوز أن يكون ذلك فيما عدا خبر كان المنفية ، كما يرشد إليه قوله سبحانه ﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ فإنه نزل على استغفار سبق منهم للمشركين .

ثم إنه تعالى احتج على كون القرآن معجزا وأنه غير قابل لأن يفترى بعدة أمور :

---

(١) السابق ، روح المعانى ج ١١ / ١١٧ . (٢) يونس / ١٥ .

الحجة الأولى : قوله تعالى : « ولكن تصديق الذى بين يديه » وقد وقعت « لكن » هنا احسن موقع ، إذ كانت بين نقيضين وهما : الكذب والتصديق المتضمن الصدق (١) .

والأولى أن يقال : بين النفى والإثبات — بين جملة « وما كان هذا القرآن أن يفترى » وجملة «لكن » التشبيهية الناصبة للمصدر خبرا لها ، إذ التقدير « ولكن — كان — تصديق الذى بين يديه (٢) كما فى المغنى عن ابن مالك فى قوله تعالى : « ما كان محمدا ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (٣) .

وهذا فى الموضعين من بديع امثلة الإيجاز بالحذف مع تمام الوضوح فى المعنى ، بل أنه يزيد فى المعنى ، إذ يسمح باكثر من تقدير ، فمن الممكن مثلا فى الآية الكريمة التى نحن بصددها أن يكون التقدير : ولكن جعلناه أو أنزلناه أو أنزله الله تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب ولكل تقدير منها وجاهته ودلالته ، فكأنما كان الحذف للاقتصاد فى اللفظ والازدياد فى المعنى فيكون قد جمع بين الإيجازين : إيجاز الحذف وإيجاز القصر ، وهو بابه البلاغة القرآنية لطيف عجيب (٤) .

الحجة الثانية : أن موضوع الآية الأولى هو القرآن الكريم الذى سيبلغ التحدى به ذروته فى الآية الثانية ، فانظر كيف مهدت الآية الأولى لبلوغ التحدى تلك الذروة : قرر صدرها امتناع القرآن على الافتراء ، إذ جعله غير قابل لأن يفترى « وما كان هذا القرآن أن يفترى » ، وصار وسطها مستودع

---

(١) البحر المحيط لابن حيان الأندلسى ج ٥ / ١٥٧ .
(٢) المغنى لابن هشام ج ١ / ٢٠٩ الطبعة الأولى وانظر الإسلام فى عصر العلم تأليف د . محمد أحمد الغمراوى ص ١٥٨ .
(٣) الأحزاب / ٤٠ .
(٤) الإسلام والعلم ص ١٥٨ .

هذه الاستحالة « ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب » . فهذه صفات ذاتية ميز الله بها القرآن لتحول دون إمكان افترائه .

الحجة الثالثة : اكدت خاتمة الآية الكريمة كل ذلك ابلغ توكيد : أولا : ينفى الريب عنه نفيا باتا « لا ريب فيه » . وثانيا : بتقرير أنه « من رب العالمين » رب عوالم الغيب وعوالم الشهادة فى الأرض وفى السماء - حتى يستعظم ناظر ما أودع الله فى القرآن من خواص ميزته من بين الكتب المنزلة ، وحالت بجملتها وتفصيلها دون إمكان افترائه على الله .

فالناظر فى قوله تعالى « ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب » تحديدا لماهية القرآن وذاتيته - إذا صح هذا التعبير - ينبغى أن يلتمس وجه المعنى الذى يجعل افتراء شيء من القرآن أمرا مستحيلا على من يحاوله ، كاستحالة خلق نبات أو حيوان من عناصره الأولية فى المعمل ، وهى الاستحالة التى اقام الله منها برهانا على أنه الإله وحده ، وضرب الله لها مثلا فى قوله مخاطبا المشركين به « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا لو اجتمعوا له » (١) كذلك يستحيل على الشاكين فى أن القرآن من عند الله أن يخلقوا من عناصر لغة ومعانى الوجود شيئا يمكن أن يكون له مميزات آية طويلة أو سورة قصيرة من القرآن (٢) .

(ب) القرآن الحكيم :-

قال الله تعالى : « يس والقرآن الحكيم » (٣) أى ذى

---

(١) الحج / ٧٣ .
(٢) الإسلام والعلم ص ١٥٦ - ١٥٧ .
(٣) يس / ١ - ٢

حكمة على انه صيغة نسبة كلابن وتامر ، اى متضمن إياها أو الناطق بالحكمة كالحر على أن يكون من الاستعارة المكنية أو المتصف بالحكمة على ان الاسناد مجازى ، وحقيقته الاسناد إلى الله تعالى المتكلم به (١) .

وفي البحر هو اما فعيل بمعنى مفعل ، كما تقول ، عقدت العمل فهو عقيد ، أى معقد ، وأما للمبالغة من حاكم (٢) . وسمي بذلك ، لأن آياته احكمت بذكر الحلال والحرام فأحكمت عن الإتيان بمثلها ومن حكمته ان علامته : من علمه وعمل به ارتدع عن الفواحش (٣) .

و"الحكيم" المحكم حتى لا يتعرض لبطلان أو تناقض . كما قال عز شانه : (احكمت آياته) (٤) وكذلك أحكم فى نظمه ومعانيه فلا يلحقه خلل وقد يكون (الحكيم) فى حق الله تعالى بمعنى المحكم - بكسر الكاف - كالأليم بمعنى المؤلم (٥) .

(ج) القرآن العجب :-

قال الله تعالى : (فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا) (٦) أى بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن النظم ، ودقة المعنى ، وهو مصدر وصفه به للمبالغة .
وقيل : عجبا فى بلاغته ومواعظه .
وقيل : عجبا فى عظم بركته . وقيل قرآنا عزيزا لا يوجد

---

(١) روح المعانى للألوسى ج ٢٢ / ٢١٢ .
(٢) البحر المحيط ج ٧ / ٣٢٣ .
(٣) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج ١ / ٢٨٠ .
(٤) هود / ١ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٥ / ٥ .
(٦) الجن / ١ .

مثله (١) .

قال أبو حيان الأندلسي : عجب في نفسه ، لفصاحة كلامه وحسن مبانيه ودقة معانيه ، وغرابة أسلوبه ، وبلاغة مواعظه ، وكونه مباينا لسائر الكتب والعجب ما خرج عن احد اشكاله ونظائره (٢) .

وقوله تعالى : « عجبا » مصدر يوضع موضع العجيب ولا شك أنه ابلغ من العجيب ، لأن العجب ما خرج عن حد اشكاله ونظائره (٣) أو على حذف المضاف أى ذا عجب ، أو المصدر بمعنى اسم الفاعل (٤) .

« د » القرآن العربي :-

قال الله جل ثناؤه : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (٥) وصف له باعتبار الشرف الاضافي (٦) . يقول الله تعالى ذكره : « إنا انزلنا هذا الكتاب المبين قرآنا عربيا على العرب لأن لسانهم وكلامهم عربي ، فانزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفهموا منه (٧) .

وضمير الغائب للكتاب السابق ذكره ، فإن كل المراد به القرآن كله ، كما هو الظاهر المناسب للحال فذاك (٨) . وإن

(١) روح المعاني للألوسي ج ٢٩ / ١٠ .
(٢) البحر المحيط ج ٨ / ٣٤٧ .
(٣) الكشاف ج ٤ / ١٦٧ .
(٤) فتح التقدير للشوكاني ج ٥ / ٣٠٣ .
(٥) يوسف / ٢ .
(٦) روح المعاني للألوسي ج ١٢ / ١٧١ .
(٧) جامع البيان في تفسير القرآن ج ١٢ / ٨٩ من المجلد السابع (٨) روح المعاني للألوسي ج ١٢ / ١٧١ .

كان المراد به هذه السورة فتسميته « قرآنا » لأنه اسم جنس يقع على الكثير والقليل ، فكما يطلق على الكل يطلق على البعض . نعم إنه غلب على الكل عند الإطلاق معرفا لتبادره .

وهل وصل بالغلبة إلى حد العلمية أو لا ؟ .

فيه خلاف ، وإلى الأول ذهب البيضاوى ، فتلزمه الألف واللام ، ومع ذلك لم يهجر المعنى الأول - ووقع فى بعض كتب الأصول انه وضع تارة للكل خاصة ، وأخرى لما يعمه ، والبعض اعني الكلام المنقول فى المصحف تواترا ، ونظر فيه بان الغلبة ليس لها وضع ثان ، وإنما هي تخصيص لبعض افراد الموضوع له ، ولذا لزمت العلم بها اللام أو الإضافة إلا ان يدعي أن فيها وضعا تقديريا . وممن صرح بان التعيين بالغلبة قيم للتعيين بالوضع العلامة الزرقاني وغيره ، لكن تعقبه الحمصى فقال : إن دلالة الأعلام بالغلبة على تعيين مسماها بالوضع ، وإن كان غير الوضع فليتأمل (١) .

وقال الزجاج وابن الأنبارى : إن الضمير لنبأ يوسف - عليه السلام - وإن لم يذكر فى النظم الكريم (٢) .

قال النحاس : وهذا اشبه بالمعنى ، لأنه يروى أن اليهود قال : سلوه لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر ؟ وعن خبر يوسف ، فانزل الله عز وجل هذا بمكة موافقا لما فى التوراة ، وفيه زيادة ليست عندهم ، فكان هذا للنبى صلى الله عليه وسلم - إذ أخبرهم ولم يكن يقرأ كتابا قط ، ولا هو فى موضع كتاب - بمنزلة أحياء عيسى عليه السلام (٣)

---

(١) السابق : ج ١٢ / ١٧١ .

(٢) روح المعانى ج ١١ / ١٧١ والبحر المحيط ج ١١ / ١٧١ والكشاف ج ٢ / ٣٠٠ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٩ / ١١٩ .

وقيل هو للإنزال المفهوم من الفعل ، ونسبه على انه مفعول مطلق ، و"قرآنا" هو المفعول به .

والقولان ضعيفان كما لا يخفى ، ونصب "قرآنا" على انه حال ، وهو بقطع النظر عما بعده وعن تاويله بالمشتق حال موطئة للحال التي هي « عربيا » - كما تقول ، مررت بزيد رجلا صالحا - وان اول بالمشتق اى "مقروءا" فحال غير موطئة و"عربيا" اما صفته على راى من يجوز وصف الصفة ، واما حال من الضمير المستتر فيه على راى من يقول بتحمل المصدر الضمير إذا كان مؤولا باسم المفعل مثلا .

وقيل : "قرآنا" بدل من الضمير ، و "عربيا" صفته (١) . وهو اختيار أبي حيان التوحيدى (٢) .

ومعنى كونه « عربيا » انه منسوب إلى العرب باعتبار انه نزل بلغتهم ، عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا » الخ ثم قال : الهم إسماعيل هذا اللسان العربي إلهاما (٣) .

وأخرج البيهقي من طريق يونس عن محمد بن ابراهيم بن الحرب التيمي ، عن أبيه من حديث فيه طول ، قال رجل : "يارسول الله ما افصحك ما راينا الذى هو اعرب منك ؟ قال : حق لفي فانا انزل القرآن على بلسان عربي مبين " .

---

(١) روح المعاني للالوسى ج ١١ / ١٧١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٩ / ١١٨ .

(٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ٥ / ٢٧٧ .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من طريقسفيان الثوريعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر رضي الله عنهم وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه .

هذا وجوز أن يكون "العربي" منسوبا إلى "عربة" وهي ناحية دار اسماعيل عليه السلام ، قال الشاعر :

وعربة أرض ما يحل حرامها*من الناس إلا اللوذعي الجلاحل(١)
والمراد لغة هذه الناحية .

وقد أشار الحق جل ثناؤه إلى عربية القرآن الكريم - في القرآن - في مواطن متعددة من ذلك قوله تعالى ذكره : ﴿ وهذا لسان عربي مبين ﴾ (٢) وقال : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾ (٣) وقال : ﴿ وكذلك أنزلناه حكما عربيا ﴾ (٤) وقال : ﴿وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد ﴾ (٥) وقال : ﴿ وكذلك أوحينا إليه قرآنا عربيا ﴾ (٦) وقال ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ (٧) وقال : ﴿ وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا (٨) وقال : ﴿ كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ﴾ (٩) .

قال الرازي : "إنما وصف الله القرآن بكونه ﴿ عربيا ﴾ في معرض المدح والتعظيم وهذا المطلوب لا يتم إلا إذا ثبت أن لغة العرب أفضل اللغات .

واعلم أن هذا المقصود إنما يتم إذا ضبطنا أقسام فضائل اللغات بضابط معلوم ثم بينا أن تلك الأقسام حاصلة فيه لا في

---

(١) البحر المحيط ج ٥ / ٢٧٧ ويعني : أن النبي صلى الله عليه وسلم أحلت له مكة . وسكن الشاعر راء "عربة" للضرورة .
(٢) النحل / ١٠٣ .
(٣) الشعراء / ١٩٣-١٩٥
(٤) الرعد / ٣٧ .
(٥) طه / ١١٣ .
(٦) الشورى / ٧ .
(٧) الزخرف / ٣ .
(٨) الأحقاف / ١٢ .
(٩) فصلت / ٣ .

غيره ، فنقول : لا شك ان الكلام مركب من الكلمات المفردة ، وهي مركبة من الحروف ، فالكلمة لها مادة وهي الحروف ، ولها صورة وهي تلك الهيئة المعينة الحاصلة عند التركيب . فهذه الفضيلة إنما تحصل إما بحسب مادتها أو بحسب صورتها :

أما التي بحسب مادتها فهي آحاد الحروف .
والحروف على قسمين : بعضها بينة المخارج ظاهرة المقاطع ، وبعضها خفية المخارج مشتبهة المقاطع .

وحروف العرب بأسرها ظاهرة المخارج بينة المقاطع ، ولا يشتبه شيء منها بالآخر .

وأما الحروف المستعملة في سائر اللغات فليست كذلك ، بل قد يحصل فيها حرف يشتبه بعضها بالبعض ، وذلك مخل بكمال الفصاحة .

وأيضا الحركات المستعملة في سائر لغة العرب حركات ظاهرة جلية وهي : النصب والرفع والجر ، وكل واحد من هذه الثلاثة فانه يمتاز عن غيره امتيازا ظاهرا جليا ، وأما الأشمام والروم «١» فيقل ظهورهما في لغات العرب ، بذلك أيضا من جنس ما يوجب الفصاحة .

وأما الكلمات الحاصلة بحسب التركيب فهي أنواع :
أحدها :
أن الحروف على قسمين متقاربة المخرج ومتباعدة المخرج ، وأيضا الحروف على قسمين : منها صلبة ومنها رخوة ، فيحصل من هذا التقسيم اقسام أربعة : الصلبة المتقاربة ، والرخوة المتقاربة ، والصلبة المتباعدة ، والرخوة

---

(١) التفسير الكبير للرازي ج ٢٧ / ٩٧ .

المتباعدة ، فإذا توالى فى الكلمة حرفان صلبان متقاربان صعب اللفظ بها لأنه بسبب تقارب المخرج يصير التلفظ بها جاريا مجرى ما إذا كان الإنسان مقيدا ثم يمشي . وبسبب صلابة تلك الحروف تتوارد الأعمال الشاقة القوية على الموضع الواحد من المخرج ، وتوالى الأعمال الشاقة يوجب الضعف والإعياء .

وثانيها :
أن جنس بعض الحروف الذ واطيب فى السمع ، وكل كلمة يحصل فيها حرف من هذا الجنس كان سماعها أطيب .

وثالثها :
الوزن ، فنقول ، الكلمة إما أن تكون ثنائية ، أو ثلاثية ، أو رباعية واعدلها هو الثلاثى ، لأن الصوت إنما يتولد بسبب الحركة . والحركة لابد لها من مبدأ ووسط ومنتهى ، فهذه ثلاث مراتب ، فالكلمة لابد وأن يحصل فيها هذه المراتب الثلاثة حتى تكون تامة ، أما الثنائية فهى ناقصة ، وأما الرباعية فهى زائدة ، والغالب فى كلام العرب الثلاثيات ، فثبت بما ذكرنا ضبط فضائل اللغات ، والاستقراء يدل على أن لغة العرب موصوفة بها ، وأما سائر اللغات فليست كذلك " (١) .

واورد على ذلك أن رسولنا صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس جميعا بقوله « قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا » (٢) بل إلى الثقلين وهم على السنة مختلفة ، فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة .

واجيب عن ذلك بانه لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة ، أو بواحد منها ، فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة ، لأن الترجمة تنوب عن ذلك ، وتكفى التطويل فتعين

---

(١) التفسير الكبير للرازى ج ٢٧ / ٩٧ .
(٢) الأعراف / ١٥٨ .

ان ينزل بلسان واحد ، وكان لسان قومه اولى باليقين ، لأنهم اقرب إليه ، ولأنه ابعد من التحريف والتبديل (١) ، ثم لما كان اشرف الأقوام وأولاهم بدعوته صلى الله عليه وسلم قومه الذين بعث بين ظهرانيهم ولغتهم افضل اللغات - كما سبق أن اشرت إلى ذلك - نزل الكتاب المبين بلسان عربي مبين ، وانتشرت احكامه بين الأمم اجمعين (٢) .

وعلى هذا فإنه وإن كان صلى الله عليه وسلم مرسلا إلى الثقلين كما مر ، ولكن لما كان قومه العرب ، وكانوا اخص به واقرب إليه كان إرساله بلسانهم اولى من إرساله بلسان غيرهم ، وهم يبينونه لمن كان على غير لسانهم ويوضحونه حتى يصير فاهما له ، كفهمهم إياه ، ولو نزل القرآن بجميع لغات من أرسله إليهم ، وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل قوم بلسانهم لكان ذلك مظنة للإختلاف وفتحا لباب التنازع ، لأن كل أمة قد تدعي من المعاني في لسانها ما لا يعرفه غيرها ، وربما كان ذلك مفضيا إلى التحريف والتصحيف بسبب الدعاوى الباطلة التي يقع فيها المتعصبون .

وزعمت طائفة من اليهود يقال لهم : العيسوية أن محمدا رسول الله لكن إلى العرب لا إلى سائر الطوائف ، وتمسكوا بقوله تعالى : « وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه » (٣) .
وقالوا :
« أ » إن القرآن لما كان نازلا بلغة العرب لم يعرف كونه معجزة بسبب ما فيه من الفصاحة إلى العرب وحينئذ لا يكون القرآن حجة إلا على العرب ، ومن لا يكون عربيا لم يكن القرآن حجة عليه .

---

(١) تفسير النفسي ج ٢ / ٢٥٤ - ٢٥٥ والكشاف ج ٢ / ٣٦٦
(٢) روح المعاني للألوسي ج ١٣ / ١٨٦ .
(٣) إبراهيم / ٤ .

« ب » إن قوله : « وما أرسلنا من رسول بلسان قومه » المراد بذلك اللسان : لسان العرب ، وذلك يقتضى أن يقال : إنه ليس له قوم سوى العرب ، وذلك يدل على أنه مبعوث إلى العرب فقط .

والجواب ، لم لا يجوز أن يكون المراد من "قومه" أهل بلده ، وليس المراد من « قومه » أهل دعوته ، والدليل على عموم الدعوة قوله تعالى : « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا » بل إلى الثقلين ، لأن التحدى كما وقع مع الإنس ، قد وقع مع الجن بدليل قوله : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا «١» ، «٢» .

قال القرطبى : ووحد اللسان – فى قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » – وإن أضافة إلى القوم ، لأن المراد اللغة ، فهى اسم جنس يقع على القليل والكثير ، ولا حجة للعجم وغيرهم فى هذه الآية ، لأن كل من ترجم له ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ترجمة يفهمها لزمته الحجة ، وقد قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » «٣» .

وقال صلى الله عليه وسلم : "أرسل كل نبى إلى أمته بلسانها وأرسلنى الله إلى كل أحمر وأسود من خلقته " «٤» .

وقال صلى الله عليه وسلم : "والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لم يؤمن بالذى

---

(١) الإسراء / ٨٨ .
(٢) التفسير الكبير للرازى ج ١٩ / ٨٧ من المجلد العاشر .
«٣» سبأ / ٢٨ .
«٤» التفسير الكبير ج ١٩ / ٨١ .

ارسلت به إلا كان من أصحاب النار" (١) ، (٢) .

وإنما سماه الله عز وجل عربيا : «قرآنا عربيا لقوم يعلمون» (٣) لكونه دالا على هذه المعاني المخصوصة بوضع العرب وباصطلاحاتهم ، وذلك يدل على ان دلالة هذه الألفاظ لم تحصل إلا على تلك المعاني المخصوصة ، وإن ما سواه فهو باطل .

وكونه "قرآنا عربيا" مفصلا يدل على انه في غاية الكشف والبيان ، وكونه "بشيرا ونذيرا" (٤) يدل على أن الاحتياج إلى فهم ما فيه من أهم المهمات لأن سعى الإنسان في معرفة ما يوصله إلى الثواب أو العقاب من أهم المهمات ، وقد حصلت هذه الموجبات الثلاثة في تأكيد الرغبة في فهم القرآن ، وفي شدة الميل إلى الإحاطة به (٥) .

(٥) القرآن العظيم (٦)

قال الله جل ثناؤه : «ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم» (٧) قرأ الجمهور "والقرآن العظيم" بالنصب عطفا

---

(١) مسلم في كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (مسلم بشرح النووي ج ٢ / ١٨٦)

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٩ / ٣٤٠ .

(٣) فصلت / ٣ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٩ / ٣٤٠ .

(٥) التفسير الكبير للرازي ج ٢٧ / ٩٤ و ٩٨ .

(٦) ورد لفظ "العظيم" ومشتقاته في القرآن العظيم ١٣ مرة ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (عظم)

(٧) الحجر / ٨٧ .

على سبقا ، فإن أريد بها الفاتحة ، أو السبع الطوال (١) فهو من عطف الكل على الجزء بأن يراد بالقرآن مجموع ما بين الدفتين . أو من عطف العام على الخاص بأن يراد به المعنى المشترك بين الكل والبعض ، وفيه دلالة على امتياز خاص حتى كأنه غيره كما في عكسه (٢) .

وإن عني الأسباع فهو من باب عطف الشيء على نفسه من حيث أن المعنى : ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم ، أي الجامع لهذين المعنيين وهو الثناء والتنبيه والعظم (٣) .

---

(١) السبع الطوال : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والأعراف والأنفال وبراءة ـ لأنهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة ، وسميت الطوال مثاني ، لأن الحدود والفرائض والأمثال تثنيت فيها ، وقيل السابعة : يونس . وقيل براءة وحدها . والمثاني على قول هؤلاء : القرآن كما قال الله تعالى : (كتابا متشابها مثانيا) الزمر / ٢٣ وسمي بذلك لأن القصص والأخبار تثنى فيه وتردد .

وقيل : إن فاتحة الكتاب هي السبع المثاني ـ وهو الأولى ـ وهي سبع آيات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم" .فهذا نص في أن فاتحة الكتاب هي السبع المثاني والقرآن العظيم ولكن لا ينافي وصف غيرها من السبع الطول بذلك لما فيها من هذه الصفة ، كما لا ينافي وصف القرآن كله بكماله بذلك أيضا ، فهو مثاني من وجه ومتشابه من وجه ، وهو القرآن العظيم أيضا .

(تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ / ٥٥٧) .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ / ٥٥٧ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٠ / ٥٤ ــ ٥٥ .

(٣) البحر المحيط ج ٥ / ٤٤٦ .

وأورد على ذلك قولهم : كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه ؟ .

وأجيب عن ذلك بأنه إذا عنى بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ، ألا ترى إلى قوله تعالى : « بما أوحينا إليك هذا القرآن » (1) يعني سورة يوسف . وإذا عنيت الأسباع فالمعنى : « ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم ، أى الجامع لهذين النعتين وهى الثناء ، أو التثنية والعظم (2) .

قرأت فرقة "والقرآن العظيم" بالخفض عطفا على المثاني وأبعد من ذلك من ذهب إلى أن « الواو » مقحمة . والتقدير : سبعا من المثاني القرآن (3) ومنه قول الشاعر :
إلى الملك القرم وابن الهمام * وليس الكتيبة فى المزدحم (4)

وقد سمى الله تعالى نفسه عظيما ، فقال عز شأنه : « وهو العلى العظيم » (5) . وعرشه عظيما ، فقال جل ثناؤه : « وهو رب العرش العظيم » (6) وكتابه عظيم ،فقال تعالى اسمه : « والقرآن العظيم » (7) ويوم القيامة عظيما فقال عز شأنه : « ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين » (8) والزلزلة عظيمة ، فقال جل ثناؤه : « إن زلزلة الساعة شيء عظيم » (9) وخلق الرسول عظيما فقال تبارك وتعالى : «

---

(1) يوسف /3 .
(2) الكشاف ج 2 / 397 .
(3) البحر المحيط ج 5 / 446 .
(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج 10 / 55 .
(5) البقرة / 255 .　　(6) التوبة / 129 .
(7) الحجر / 87 .　　(8) المطففين / 5 — 6 .
(9) الحج / 1 .

وإنك لعلى خلق عظيم » (١) ، «وكان فضل الله عليك عظيم » (٢) . وكيد النساء عظيما ، فقال عز شانه : « إن كيدكن عظيم » (٣) وسحر سحرة فرعون عظيما فقال الله تعالى : « وجاءوا بسحر عظيم » (٤) وسمى نفس الثواب عظيما ، فقال عز وجل : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » (٥) ، وسمى عقاب المنافقين عظيما ، فقال عز شانه « ولهم عذاب عظيم » (٦) .

(هـ) القرآن الكريم (٧) :

قال الله جل ثناؤه : « إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون » (٨)

---

(١) القلم / ٤ .
(٢) النساء / ١١٣ . (٣) يوسف / ٢٨ .
(٤) الأعراف / ١١٦ . (٥) الفتح / ٢٩ .
(٦) النور / ٢٣ . (٧) الواقعة / ٧٧ .
(٧) القرآن مصدر أو اسم غير مصدر ؟ فنقول : فيه وجهان ، إحداهما : مصدر أريد به المفعول وهو المقروء ، ومثله قوله تعالى : (ولو أن قرآننا سيرت به الجبال) الرعد / ٣١ وهذا كما يقال فى الحسم العظيم . انظر إلى قدرة الله تعالى ، أى مقدوره وهو كما فى قوله تعالى : (هذا خلق الله فاروني)
ثانيهما : اسم لم يقرأ كالقربان لما يتقرب به ، والحلوان لما يحلى به فم المكارى .
(٨) الواقعة / ٧٧ – ٧٨ قال تعالى : (فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم) أى فاقسم ، و لا مزيده للتوكيد ، كما فى قوله (لئلا يعلم) الحديد / ٢٩ أو فلأنا أقسم ، فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ويعضد قراءة من قرأ : (فلا أقسم) . أو فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه – وقيل : «لا» هنا على ظاهرها ، وإنها لنفى القسم ، أى فلا اقسم على هذا لأن الأمر أوضح من ذلك .

... ...

– أى من أن يحتاج إلى قسم – وهذا مدفوع بقوله : (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) مع تعيين المقسم به والمقسم عليه . وقوله : (بمواقع النجوم) أى بمساقطها وهى مغاربها ، وتخصيصها بالقسم لما فى غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير أو لأن ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه تعالى ، وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم . أو بمنازلها ومجاريها فإن له تعالى فى ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان – وقيل : "النجوم" نجوم القرآن ، ومواقعها : أوقات نزولها ، وقوله تعالى : (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) اعتراض فى اعتراض قصد به المبالغة فى تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيده حيث اعترض بقوله (وإنه لقسم) بين القسم وجوابه الذى هو قوله تعالى : (وإنه لقرآن كريم) الواقعة / ٧٧ .

يقول الله تعالى ذكره : « فلا أقسم بمواقع النجوم » إن هذا القرآن لقرآن كريم (١) . والضمير فى قوله تعالى : « إنه » عائد إلى القرآن ، أى إن القرآن لقسم عظيم ، قاله ابن عباس رضى الله عنهما ، وقيل : ما أقسم الله به عظيم « إنه لقرآن كريم » ذكر المقسم عليه ، أى أقسم بمواقع النجوم ، إن هذا القرآن كريم (٢) .

وأورد على ذلك أنه إذا كان هذا الكلام للرد على المشركين ، فهم ما كانوا ينكرون كونه مقروءا ، فما الفائدة فى قوله « إنه لقرآن » ؟ وأجيب عن ذلك بوجهين :

إحداهما :

أنه إخبار عن الكل فى قوله « قرآن كريم » فهم كانوا ينكرون كونه قرآنا كريما وهم ما كانوا يقرون به .

وثانيهما :

وهو أحسن من الأول – أنهم قالوا هو مفترع من عنده وكان النبى صلى الله عليه وسلم : إنه مسموع سمعته وتلوته عليكم فما كان القرآن عندهم مقروءا ، وما كانوا يقولون : إن النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن ، وفرق بين القراءة والإنشاء ، فلما قال « إنه لقرآن » أثبت كونه مقروءا على النبى صلى الله عليه وسلم ليقرأ ويتلى فقال تعالى : « أنه لقرآن » سماه قرآن لكثرة ما قرئ ، ويقرأ إلى الأبد بعضه فى الدنيا وبعضه فى الآخرة .

وقوله تعالى : « كريم » وصف مدح ينفى عنه ما لا يليق به (٤) .

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ٢٧ / ١١٨ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٧١ / ٢٢٤ .
(٣) التفسير الكبير للرازى ج ٢٩/١٩٢ (المجلد الخامس عشر) .
(٤) البحر المحيط لأبى حيان التوحيدى ج ٨ / ٢١٤ .

وقال الزمخشرى : "كريم " حسن مرضى فى جنة من الكتب ، أو نفاع أو كريم على الله تعالى (١) .

وقال الألوسى : ومعنى كون القرآن كريما أنه حسن مرضى فى جنة من الكتب ، أو نفاع جم المنافع ، وكيف لا وقد اشتمل على أصول العلوم المهمة فى إصلاح المعاش والمعاد . والكرم على هذا مستعاد من الكرم المعروف .

وقيل الكرم أعم من كثرة البذل والإحسان والإنصاف بما يحمد من الوصاف ككثرة النفع ، فإنه وصف محمود ، فكونه كرما حقيقة . وجوز أن يراد كريم على الله تعالى ، قيل وهو يرجع لما تقدم وفيه تقدير من غير حاجة (٢) .

وقال القرطبى : إن هذا القرآن : قرآن كريم ، ليس بسحر ولا كهانة وليس بمفترى ، بل هو قرآن كريم محمود جعله الله تعالى معجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وهو كريم على المؤمنين ، لأنه كلام ربهم ، وشفاء صدورهم ، كريم على أهل السماء ، لأنه تنزيل ربهم ووحيه .

وقيل : "كريم" أى غير مخلوق .
وقيل : "كريم" لما فيه من كريم الأخلاق ومعانى الأمور .
وقيل : "كريم" لأنه يكرم حافظه ويعظم قارئه (٣) .

وعلى ضوء ما سبق فإنه يبدو لى أن القرآن سمى "كريما" لعدة أمور أجملها فيما يلى :

أولا : أنه « كريم » أى كرمه الله وأعزه ورفع قدره على جميع

---

(١) الكشاف للزمخشرى ج ٤ / ٥٩ .
(٢) روح المعانى للألوسى ج ٢٧ / ١٥٣ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٧ / ٢٢٤ .

الكتب ، وكرمه عن ان يكون سحرا أو كهانة أو كذبا .

ثانيا : انه « كريم » لما فيه من كرم الأخلاق ومعالى المور .

ثالثا : انه « كريم » لأنه يكرم حافظه ويعظم قارئه .

رابعا : انه « كريم » لأنه من شانه ان يعطى الخير الكثير بالدلائل التى تؤدى إلى الحق فى الدين .

وعلى هذا فإن الكريم اسم جامع لما يحمد ، والقرآن كريم يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة .
وقوله : "كريم" - فوق ما سبق - فيه لطيفه وهى ان الكلام إذا قرئ كثيرا يهون فى الأعين والآذان ، ولهذا ترى من قال شيئا فى مجلس الملوك لا يذكر ، ثانيا ، ولو قيل فيه يقال لقائله لم تكرر هذا ، ثم إنه تعالى لما قال : « إنه لقرآن » أى مقروء قرئ ويقرأ ، قال : « كريم » أى لا يهون بكثرة التلاوة ، ويبقى أبد الدهر كالكلام الغض والحديث الطرى ، ومن هنا يقع أن وصف القرآن بالحديث مع أنه قديم يستمد من هذا مددا ، فهو قديم يسمعه السامعون كأنه كلام الساعة ، وما قرع سمع الجماعة لأن الملائكة الذين علموه قبل النبى بالوف من السنين إذا سمعوه من أحدنا يتلذذون به التذاذ السامع بكلام جديد لم يذكر له من قبل (١) .

والكريم اسم جامع لصفات المدح ، قيل الكريم هو الذى كان طاهر الأصل ظاهر الفضل ، حتى أن من أصله غير ذكى لا يقال له كريم مطلقا ، بل يقال له كريم فى نفسه ، ومن يكون ذكى الأصل غير ذكى النفس لا يقال له كريم مع تقييد ، فيقال هو كريم الأصل لكنه خسيس فى نفسه . ثم أن السخى المجرد هو الذى يكثر عطاؤه للناس ، أو يسهل عطاؤه ويسمى كريم ،

---

(١) التفسير الكبير للرازى ج ٣١ / ١٩٣ .

وإن لم يكن له فضل آخر لا على الحقيقة ولكن ذلك بسبب وهو أن الناس يحبون من يعطيهم ، ويفرحون بمن يعطى أكثر مما يفرحون بغيره . فإذا رأوا زاهدا أو عالما لا يسمونه كريما . ويؤيد هذا انهم إذا رأوا واحدا لا يطلب منهم شيئا يسمونه كريم النفس لمجرد تركه الاستعطاء ، لما أن الأخذ منهم صعب عليهم ، وهذا كله في اللغة الرديئة ، وأما في الأصل فيقال الكريم هو الذى استجمع فيه ما ينبغى من طهارة الأصل وظهور الفضل ويدل على هذا أن السخى فى معاملته ينبغى أن لا يوجد منه ما يقال بسببه أنه لئيم ، فالقرآن أيضا كريم بمعنى طاهر الأصل ظاهر الفضل لفظه فصيح ومعناه صحيح ، لكن القرآن أيضا كريم على مفهوم العوام ، فإن كل من طلب منه شيئا أعطاه :

- فالفقيه يستدل به ويأخذ منه .
- والحكيم يستمد به ويحتج به .
- والأديب يستفيد منه ، ويتقوى به .

والله تعالى وصف القرآن بكونه كريما ، وبكونه عزيزا ، وبكونه حكيما .

فلكونه كريما : كل من اقبل عليه نال منه ما يريده ، فإن كثيرا من الناس لا يفهم من العلوم شيئا ، وإذا اشتغل بالقرآن سهل عليه حفظه ، وقلما يرى شخص يحفظ كتابا يقرؤه بحيث لا يغير منه كلمة بكلمة ، ولا يبدل حرفا بحرف ، وجميع القراء يقراون القرآن من توقف ولا تبديل .

وكونه عزيزا : فإن كل من يعرض عنه لا يبقى معه منه شيء ، بخلاف سائر الكتب ، فإن من قرأ كتابا وحفظه ثم تركه يتعلق بقلبه معناه ، حتى ينقله صحيحا ، والقرآن من تركه لا يبقى منه شيء لعزته ، ولا يثبت عند من لا يلزمه بالحفظ .

وكونه حكيما : من اشتغل به واقبل عليه بالقلب أغناه عن سائر العلوم (١) .

وقد سمى المولى عز وجل سبعة أشياء بالكريم ، « ما غرك بربك الكريم » (٢) إذ لا جواد أجود منه ، والقرآن بالكريم ، لأنه لا يستفاد من كتاب من الحكم والعلوم ما يستفاد منه .

وسمى موسى عليه السلام كريما ؛ « وجاءهم رسول كريم » (٣) .

وسمى ثواب الأعمال كريما « فبشره بمغفرة وأجر كريم » (٤) .

وسمى عرشه كريما « الله لا إله إلا هو رب العرش الكريم » (٥) ، لأنه منزل الرحمة .

وسمى جبريل عليه السلام كريما « انه لقول رسول كريم » (٦) ومعناه انه عزيز .

وسمى كتاب سليمان عليه السلام كريما « إني ألقي إلى كتاب كريم » (٧) فهو كتاب كريم من رب كريم ، نزل به ملك كريم على نبي كريم لأجل أمة كريمة ، فإذا تمسكوا به نالوا ثوابا كريما .

وفي جمع وصفي الكتابية والقرآنية من تفخيم شأن القرآن وما فيه ، حيث أشير بالأول إلى اشتماله على صفات كمال

---

(١) التفسير الكبير للرازي ج ٢٩ / ١٩٢ - ١٩٣ .

(٢) الانفطار / ٦ .

(٣) الدخان / ١٧ .

(٤) يس / ١٦ .

(٥) المؤمنون / ١١٦ .

(٦) التكوير / ١٩ .

(٧) النمل / ٢٩ .

جنس الكتب الإلهية فكأنه كلها .

وبالثاني ، إلى كونه ممتازا عن غيره نسيج وحد ، بديعا في بابه ، خارجا عن دائرة البيان قرآنا غير ذي عوج .

ونحو هذا فاتحة سورة النمل خلا أنه أخرها هنا الوصف القرآنية عن الوصف بالكتابية ، لما أن الإشارة إلى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على أمواله على كمالات غيره منها أدخل في المدح لئلا يتوهم من أول الأمر أن امتيازه عن غيره لاستقلاله بأوصاف خاصة به من غير اشتماله على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة ، وعكس هناك نظرا إلى حال تقدم القرآنية على حال الكتابية (١) .

ولما كان التعريف نوع من الفخامة ، وفي التنكير نوع آخر ، وكان الغرض الجمع عرف الكتاب ونكر القرآن في سورة الحجر ، وعكس في النمل ، وقدم المعرف في الموضعين لزيادة التنويه ، ولما عقبه سبحانه في الحديث عن الخصوص في سورة النمل قدم كونه قرآنا ، لأنه أدل على خصوص المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للإعجاز .

وتعقب تفسير ذلك بالسورة دون جميع القرآن ، أو المنزل إذ ذاك بأنه غير متسارع إلى الفهم ، والمتسارع إليه عند الاطلاق ما ذكر ، وعليه يترتب فائدة وصف الآيات تبعث ما أضيفت إليه من نعوت الكمال ، لا على جعله عبارة عن السورة ، إذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغنى عن التصريح بالوصف على أنها عبارة عن جميع آياتها فلابد من جعل تلك .

---

(١) روح المعاني للألوسي ج ١٤ / ٢ - ٣ وتفسير العلامة أبي السعود ج ٣ / ٢١١ .

(و) القرآن المبين (١) :

قال الله جل ثناؤه : « الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » (٢) تنكير القرين للتفخيم ، والمعنى تلك الآيات آيات ذلك الكتاب الكامل فى كونه كتابا ، وفى كونه قرآنا مفيدا للبيان (٣) مظهرا لما فى تضامينه من الحكم والأحكام مفرقا بين الحق والباطل ، والحلال والحرام ، أو ظاهر معانيه ، أو امر إعجازه ، فالمبين اما من المتعدى ، أو اللازم (٤) .

وقال مجاهد وقتادة : الكتاب هنا ما نزل من الكتب قبل القرآن ، فعلى قولهما تكون تلك الإشارة إلى آيات الكتاب .

وقال ابن عطيه : يحتمل ان يراد بالكتاب القرآن ، وعطفت الصفة عليه (٥) ولم يذكر الزمخشرى إلا أن تلك الإشارة لما تضمنته السورة من الآيات قال : والكتاب والقرآن المبين السورة ، وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل فى كونه كتابا وأى قرآن مبين ، كأنه قيل : والكتاب الجامع للكمال والغرابة فى البيان (٦) .

وجوز ان يراد بالكتاب اللوح المحفوظ ، وأن تقديمه هنا باعتبار الوجود وتأخيره فى سورة النمل - "طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين » - باعتبار تعلق علمنا ، لأنا ما نعلم ثبوت ذلك من القرآن .

---

(١) وردت مادة المبين فى القرآن الكريم (١٠٨) مرة . المعجم المفهرس مادة بين - مبين ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢) الحجر / ١ .

(٣) و (٤) التفسير الكبير للرازى ج ١٩ / ١٥٥ .

(٥) البحر المحيط ج ٥ / ٤٤٤ .

(٦) الكشاف ج ٢ / ٣٨٥ - ٣٨٦ .

وتعقب بأن إضافة الآيات إليه تعكر على ذلك ، إذ لاعهد باشتماله على الآيات «١» .

والإشارة إلى كل واحدة منها ، وفيه من التكلف ما لا يخفى .

ثم إن الزمخشري بعد أن فسر المتعاطفين بالسورة أشار إلى وجه التغاير بينهما بقوله كأنه قيل ، الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان «٢» ورمز إلى أنه لما جعل مستقلا في الكمال والغرابة فقد قصدهما فعطف أحدهما على الآخر ، فالغرض من ذكر الذات في الموضعين الوصفان ، وهذه فائدة إيثار هذا الأسلوب ، ومن هذا عد ، من عد ، من باب التجريد «٣» .

ونكر الكتاب المبين - في سورة النمل - ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له ، كقوله تعالى : « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » «٤» .

ووجه عطفه على القرآن إذا أريد به القرآن ، كما تعطف احدى الصفتين على الأخرى في نحو قولك : هذا فعل السخى والجواد الكريم ، لأن القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه ، فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح ، فكأنه قيل : تلك الآيات آيات المنزل المبارك اى كتاب مبين .

وقرأ بعضهم "وكتاب مبين" بالرفع على تقدير : وآيات كتاب مبين بحذف المضاف واقيم المضاف إليه مقامه .

فإن قلت : ما الفرق بين هذا وبين قوله : « آلر تلك

«١» روح المعاني للألوسي ج ١٤ / ٢ - ٣ .
«٢» الكشاف ج ٢ / ٣٨٥ - ٣٨٦ .
«٣» روح المعاني للألوسي ج ١٤ / ٣ . «٤» القمر / ٥٥ .

آيات الكتاب وقرآن مبين » ؟ (١) .
قلت : لا فرق بينهما إلا مابين المعطوف والمعطوف على من التقدم ، والتأخر وذلك على ضربين :
- ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب .
- وضرب فيه ترجيح .

فالأول نحو قوله تعالى : « وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا » (٢) ومنه ما نحن بصدده .

والثاني : نحو قوله تعالى : « شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وألوا العلم » (٣) ، (٤) .

وعلى ضوء ما سبق يمكن ان اقول : إن الله تعالى ذكره اخرج "الكتاب" بلفظ المعرفة والقرآن بلفظ النكرة - في سورة الحجر - وذلك لأن القرآن والكتاب اسمان يصلح لكل واحد منهما ان يجعل معرفة ، وأن يجعل صفة .

وفي سورة النمل ذكر القرآن بلفظ المعرفة « تلك آيات القرآن وكتاب مبين » بلفظة النكرة ، وهو في معنى المعرفة ، كما تقول : فلان رجل عاقل ، وفلان الرجل العاقل .

والكتاب هو القرآن ، فجمع له بين الصفتين : بأنه قرآن ، وانه كتاب ، لأنه ما يظهر بالكتابة ويظهر بالقراءة .

---

(١) الحجر / ١ .
(٢) الأعراف / ١٦١ .
(٣) آل عمران / ١٨ .
(٤) الكشاف للزمخشري ج ٣ / ١٣٤ - ١٣٥ .

(ز) القرآن ذى الذكر :

قال الله جل ثناؤه : (صٓ والقرآن ذى الذكر) (١) .

---

(١) ص / ١

قراءة العامة : "صْ" بالجزم الدال على الوقف لأنه حرف من حروف الهجاء مثل "الر ـ الم" .

وقرأ أبى بن كعب وغيره "صِ" بكسر الدال بغير تنوين ، ولقراءته مذهبان :

إحداهما : أنه من صادى يصادى إذا عارض ، ومنه "فأنت له تصدى" عبس / ٦ . أى تعرض ، والمصادة المعارضة ، ومنه التصدى وهو ما يعارض الصوت فى الأماكن الخالية ، فالمعنى : صاد القرآن بعملك ، أى عارضه بعملك وقابله به ، فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه .

والثانى : أن تكون الدالة مكسورة لالتقاء الساكنين .

وقرأ عيسى بن عمر "صادَ" بفتح الدال مثله "قافَ" ونون بفتح آخرها . وله فى ذلك ثلاثة مذاهب :

إحداهن : أن يكون بمعنى اتل .

والثانى : أن يكون فتح لالتقاء الساكنين ، واختار الفتح للاتباع ، ولأنه أخف الحركات .

والثالث : أن يكون منصوبا على القسم بغير حرف : كقولك : آلله لأفعلن وقيل نصب على الإغراء وقيل معناه : صاد محمد قلوب الخلق واستلمها حتى آمنوا به .

قال الألوسى : ولعل القائل به اعتبره فعلا ماضيا مفتوح الآخر أو ساكنه للوقف وأنا لا أقول به ولا أرتضيه . (روح المعانى للألوسى ج ٢٣ / ١٦١ .

وقرأ ابن أبى إسحاق أيضا : (صادٍ) بكسر الدال والتنوين على أن يكون مخفوضا على حذف حرف القسم وهذا بعيد ، وإن كان سيبويه قد أجاز مثله .

... ...

وقرأ هارون الأعور ومحمد بن السميقع : "صاد" وقاف "ونون" بضم آخرهن لأنه المعروف بالبناء في غالب الحال نحو : منذ وقط وقبل وبعد .

(الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٥ / ١٤٢ - ١٤٣ والتفسير الكبير للرازي ج ٢٦ / ١٧٤ - ١٧٥ والبحر لأبي حيان الأندلسي ج ٧ / ٣٨٣) .

قال سعيد بن جبير "ص" قسم اقسم الله به ، وهو من اسمائه تعالى . وقيل هو : مما استأثر الله بعلمه - وبالجملة إن لم يعتبر مقسما بل فالواو في قوله "والقرآن" للقسم ، وإن اعتبر مقسما به فهي للعطف عليه ، ولكن إذا كان قسما منصوبا على الحذف والإيصال يكون المعطف عليه باعتبار المعنى والأصل ، ثم المغيرة بينهما قد تكون حقيقة ، كما إذا اريد وب "ص" السورة ، أو بالعكس ، او اريد ب "ص" البحر - قال سعيد بن جبير إن "ص" هو بحر يحي الله تعالى به الموتى بين النفختين ، وعن ابن عباس : كان بحرا بمكة وكان عليه عرش الرحمن إذ لا ليل ولا نهار ، يالله اعلم بصحة هذين الخبرين - الذى قيل به ، وبالقرآن كله او السورة (١) .

وقوله تعالى : « ذى الذكر » (٢) اى ذى الشرف ، اى من آمن به كان شرفا له في الدارين ، كما قال الله جل ثناؤه : « لقد انزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم » (٣) اى شرفكم ، ومجاز هذا من قولهم : لفلان ذكر في الناس كما يقولون له صيت (٤) .

وايضا القرآن شريف في نفسه لإعجازه واشتماله على ما لا يشتمل عليه غيره (٥) .

وقال ابن عباس ومقاتل : معنى "ذى الذكر" ذى البيان - اى فيه قصص الأولين والآخرين ، وفيه بيان العلوم الأصليه

---

(١) ضعف جعل الواو للقسم ايضا بناء على قول جمع : ان توارد قسمين على مقسم عليه واحد ضعيف .

(٢) خفض على النعت ، وعلامة خفضه الياء ، وهو اسم معتل ، والأصل فيه "ذوى" على فعل .

(٣) الأنبياء / ١٠ . (٤) التفسير الكبير للرازى ج ٢٦ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٥ / ١٤٤ .

والفرعيه ، ومجازه من قوله "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر " (١) ، (٢) وقيل : " ذى الذكر " أى فيه ذكر أسماء الله وتمجيده .

وجواب القسم محذوف ، واختلف فيه على أوجه :
- فقيل : جواب القسم "ص" ، لأن معناه حق فهى جواب لقوله : "والقرآن" ، كما تقول : حقا والله ، نزل والله ، وجب والله ، فيكون الوقف من هذا الوجه على قوله : "والقرآن ذى الذكر" حسنا ، وعلى "فى عزة وشقاق" تماما .

- وقيل الجواب : (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) ، لأن (بل) نفى لأمر سبق وإثبات لغيره ، فكأنه قال : "والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق" عن قبول الحق وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم . أو "والقرآن ذى الذكر" ما الأمر كما يقولون من انك ساحر كذاب ، لأنهم يعرفونك بالصدق والأمانة ، بل هم فى تكبر عن قبول الحق ، وهو كقوله "ق والقرآن المجيد بل عجبوا" (٣) .

- وقيل : الجواب "كم اهلكنا" كانه قال : "والقرآن لكم اهلكنا ، فلما تأخرت (كم) حذفت اللام منها ، كقوله تعالى : " والشمس وضحاها" (٤) ثم قال : (قد افلح) (٥) أى لقد افلح .

وهذا مذهب الفراء ، وعلى هذا لا يتم الوقف على قوله "فى عزة وشقاق" .

---

(١) القمر / ٣٢ .
(٢) التفسير الكبير للرازى ج ٢٦ / ٧٥ .
(٣) ق / ١ ، ٢ .
(٤) و (٥) الشمس / ١ و ٩ .

- وقال الأخفش : جواب القسم "إن كل الا كذب الرسل فحق عقاب" (١) ونحو منه قوله تعالى : (تالله إن كنا لفي ضلال مبين) (٢) وقوله : (والسماء والطارق) . (إن كل نفس) (٣) .
قال ابن الأنباري : وهذا قبيح ، لأن الكلام قد طال فيما بينهما وكثرت الآيات والقصص .

-وقال الكسائي : جواب القسم قوله : (إن ذلك لحق تخاصم أهل النار) (٤) . وقال ابن الأنباري : وهذا غير مستقيم لأن الكلام اشد طولا فيما بين القسم وجوابه .

- وقال قتادة : الجواب محذوف تقديره : "والقرآن ذي الذكر" لتبعثن ونحوه (٥) .

(ح) القرآن المجيد (٦) :

قال الله تعالى : (ق والقرآن المجيد) (٧) والمجيد العظيم ، وقيل هو كثير الكرم ، وعلى الوجهين القرآن مجيد .

اما على قولنا (المجيد) هو العظيم ، فلأن القرآن عظيم الفائدة ، ولأنه ذكر الله العظيم وذكر العظيم عظيم .

---

(١) ص / ١٤ .　　　　(٢) الشعراء / ٩٧ .
(٣) الطارق / ١ و ٤ .　　　　(٤) ص / ٦٤ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٥ / ١٤٤ والبحر المحيط ج ٧ / ٣٨٣ .
(٦) ورد لفظ المجيد في القرآن الكريم (٤) مرات .
(٧) ق / ١ .
القسم من الله تعالى في القرآن الكريم وقع على النحو التالي :
=

- بأمر واحد ، كما في قوله تعالى (والعصر) وقوله (والنجم) .
- وبحرف واحد ، كما في قوله تعالى (ص - ن) .
- ووقع بأمرين كما في قوله (والضحى والليل إذا سجى) وفى قوله (والسماء والطارق) .
- وبحرفين كما في قوله (طه و طس و يس و حم) .
- وبثلاثة أمور كما في قوله (والصافات - فالزاجرات - فالتاليات) .
- وبثلاثة أحرف كما في (الم - طسم - الر) .
- وبأربعة أمور كما في (والذاريات) ، وفى (والسماء ذات البروج) وفى (والتين) .
- وبأربعه احرف كما في (المص - المر) .
- وبخمسه أمور كما في (والطور) وفى المرسلات وفى (والنازعات) وفى (والفجر) وبخمسه أحرف ، كما في (كهيعص - حمعسق) .
ولم يقسم بأكثر من خمسه أشياء ألا في سورة واحدة وهى (والشمس وضحاها) ولم يقسم بأكثر من خمسه أصول ، لأنه يجمع كلمة الاستثقال ، ولما استثقل حين ركب المعنى ، كان استثقالها حين ركب من غير احاطة العلم بالمعنى اولا لمعنى كان أشد .
وعند القسم بالأشياء المعهودة ، ذكر حرف القسم وهى الواو ، فقال (والطور والنجم والشمس) .
وعند القسم بالحروف لم يذكر حرف القسم فلم يقل و (ق) و (حم) لأن القسم لما كان بنفس الحروف مقسما به ، فلم يرد في موضع كونه آلة القسم تسوية بين الحروف .

ولأنه لم يقدر عليه احد من الخلق ، وهو آية العظمة يقال : ملك عظيم إذا لم يكن يغلب - ويدل عليه قوله تعالى : « ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم » (١) اى الذى لا يقدر على مثله احد ليكون معجزة دالة على نبوتك ، وقوله تعالى : « بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ » (٢) اى محفوظ من ان يطلع عليه احد إلا باطلاعه تعالى فلا يبدل ولا يغير و « لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » (٣) فهو غير مقدور عليه فهو عظيم .

واما على قولنا « المجيد » هو كثير الكرم ، فالقرآن كريم كل من طلب منه مقصوده وجده ، وأنه مغنى كل من لاذ به ، واعطاء المحتاج غاية الكرم ، ويدل عليه هو أن المجيد مقرون بالحميد فى قولنا : إنك حميد مجيد ، فالحميد هو المشكور والشكر على الإنعام والمنعم كريم ، فالمجيد هو الكريم البالغ فى الكرم (٤) .

قال الراغب : المجد السعة فى الكرم واصله «مجدت الإبل إذا وقعت فى مرعى كثير واسع ، ووصف القرآن به لكثرة ما يتضمن من المكارم الدنيوية والأخروية ويجوز أن يكون وصفه بذلك ، لأنه كلام المجيد ، فهو وصف بصفة قائلة . فالإسناد مجازى ، كما فى القرآن الحكيم ، أو لأن من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس ، فالكلام بتقدير مضاف حذف فارتفع الضمير المضاف إليه ، أو فعيل بمعنى مفعل كبديع بمعنى مبدع ، لكن من مجيء فعيل وصفا من الأفعال كلام ، واكثر اهل اللغة والعرب لم يثبتوا (٥) .

---

(١) الحجر / ٨٧ .
(٢) البروج : ٢١ - ٢٢ .
(٣) فصلت / ٤٢ .
(٤) التفسير الكبير للرازى ج ٢٨ / ١٢٨ .
(٥) روح المعانى للألوسى ج ٢٦ / ١٧١ من المجلد [illegible]

وقيل ذى المجد والشرف من باب النسب كلابن وتامر ، وإلا فالمعروف وصف الذات الشريفة به ، وصنيع بعضهم ظاهر فى اختيار هذا الوجه .

واورد عليه ان ذلك غير معروف فى فعيل كما قال ابن هشام فى قوله تعالى : « إن رحمة الله قريب » (١) وأنت تعلم أن من حفظ حجة على من لا يحفظ ، وشرفه على هذا بالنسبة لسائر الكتب ، اما غير الإلهية فظاهر ، واما الالهية فلإعجازه وكونه غير منسوخ بغيره واشتماله مع إيجازه على أسرار يضيق عنها كل واحد منها (٢) .

والقرآن مقسم به ، واختلف فى المقسم عليه على وجوه ، وضبطها بان نقول : ذلك اما أن يفهم بقرينه حاليه ، أو قرينه مقالية ، والمقالية اما أن تكون متقدمة على المقسم به أو متاخرة .

فإن قلنا بانه مفهوم من قرينة مقالية متقدمة فلا متقدم هناك لفظا الا « ق » فيكون التقدير : هذا « ق والقرآن المجيد » أو « ق » انزلها الله تعالى « والقرآن » كما يقول ك هذا ما تم والله اى هو المشهور بالسخاء ، وتقول : الهلال رأيته والله .

وإن قلنا بانه مفهوم من قرينه مقالية متاخرة ، فيقول ذلك أمران :
احدهما : المنذر .
والثانى : الرجع ، فيكون التقدير : والقرآن المجيد إنك المنذر ، أو : والقرآن المجيد إن الرجع لكائن ، لأن الأمرين ورد القسم عليهما ظاهرا .

---

(١) روح المعانى ج ٢٦ / ١٧١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٧ / ٣ .   (٢) السابق .

اما الاول فيدل عليه قوله تعالى : « يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين » «١» الى ان قال : « لتنذر قوما انذر اباءهم ».

واما الثاني : فدل عليه قوله تعالى « والطور وكتاب مسطور » «٢» إلى ان قال : « ان عذاب ربك لواقع » . وهذا الوجة يظهر علية غاية الظهور على قولين قال «ق» اسم جبل «٣» فان القسم يكون بالجبل والقرآن . وهناك القسم بالطور والكتاب المسطور وهو الجبل والقرآن .

---

(١) يس / ١-٣ . (٢) الطور ١-٣

(٣) قيل ان (ق) اسم جبل محيط بالأرض عليه أطراف السماء، وهو ضعيف لوجوه :

أحدها : أن القراءة الكثيرة الوقف ، ولو كان اسم جبل لما جاز الوقف في الأدراج ، لأن من قال ذلك قال بأن الله تعالى اقسم به .

وثانيها : أنه لو كان كذلك لذكر بحرف القسم كما في قوله تعالى (والطور) وذلك لأن حرف القسم يحذف حيث يكون المقسم به مستحقا لأن يقسم به كقولنا : (الله لأفعلن كذا ، واستحقاقة لهذا غنى عن الدلالة عليه باللفظ ، ولا يحسن أن يقال : زيد لأفعلن .

وثالثها : أنه لو كان كما ذكر لكان يكتب قاف مع الألف والفاء كما يكتب (عين جارية ، ويكتب (أليس الله بكاف عبده) وفي جميع المصاحف يكتب حرف (ق) .

رابعا : أن الظاهر أن الأمر فيه كالأمر في (ص ،ن ،حم) حروف لا كلمات وكذلك في (ق) .

وقيل : هو اسم الفاعل من قفا يقفو و(ص) من صاد يعني المصادة وهي المعارضة ، معناه هذا قاف جميع الأشياء بالكشف ، ومعناه حينئذ هو قوله تعالى : (ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) إذا قلنا إن الكتاب هناك القرآن .

قال الرازى ، والأول أظهر ، لأن المنذر أقرب من المرجع ، الحروف رأيناها مع القرآن ، والمقسم كونه مرسلا ومنذراً ، وما رأينا الحروف التي ذكرت وبعدها الحشر واعتبر ذلك في سور منها ، قوله تعالى :

« الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر » .(١)

ولأن القرآن معجزة دالة على كون محمد رسول الله ، فالقسم به عليه يكون اشارة الى الدليل على طريقة القسم ، وليس هو بنفسه دليلا على الحشر ، بل فيه امارات مفيدة للجزم بالحشر بعد معرفة صدق الرسول .

واما ان قلنا انه مفهوم بقرينة حالية ، فهو كون محمد صلى الله عليه وسلم على الحق ، ولكلامه صفة الصدق ، فان الكفار كانوا ينكرون ذلك . والمختار ما ذكرناه (٢) .

والذى يبدو لى هاهنا انه قد اتحد المقسم به والمقسم عليه وهو القرآن فاقسم بالقرآن على ثبوته وصدقه ، وأنه الحق من عنده ، ولذلك حذف الجواب ولم يصرح به ، لما فى القسم من الدلالة عليه ، أو لأن المقصود نفس المقسم به .

وان المراد بالمجيد ، العظيم والشريف ، فمن شرفه أنه حفظ عن التغيير والتبديل والزيادة والنقصان ، وجعله معجزا فى نفسه عن أن يؤتى بمثله .

---

(١) السجدة / ١-٣ .

(٢) التفسير الكبير للرازى ج ٢٨ / ١٤٨-١٤٩ وجامع البيان للطبرى ج ٩٣/٢٦ من المجلد الحادى عشر وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢٢١/٤ - ٢٢٢ .

والمجيد أيضا الرفيع القدر ، وقيل الكريم وقيل الكثير مأخوذ من كثرة القدر والمنزلة لا من كثرة العدد من قولهم : كثير فلان في النفوس .

وعلى هذا فإن من احاط علما بمعانيه وعمل بما فيه من عند الله وعند الناس وهو بسببه من الله المجيد ، فجاز اتصافه بصفته (١) .

٢- الكتاب : (٢)

الكتاب مصدر كتب يكتب كتابة ، واصلها الجمع . قال تعالى : « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان » أي جمع - وسميت الكتابة لجمعها الحروف ومنه قيل : كتيبة ، لاجتماعها ، وتكتبت الخيل صارت كتائب . وكتبت البغلة : إذا جمعت شفرى رحمها بحلقة أو شير . قال الشاعر :

لاتامنن فزاريا حللت به * على قلوصك واكتبها باسيار

والكتبة - بضم الكاف - : الخرزة ، والجمع كتب ، والكتب : الخرز قال ذو الرمة :

وغراء غرقية أثأى خوارزها * مشلشل ضيعته بينها الكتب (٣)

والكتاب : الفرض والحكم والوقور . قال الشاعر :

يا بنت عمي كتاب الله أخرجني * عنكم وهل أمنعن الله ما فعلا

والكتاب هو الذي يجمع أنواعا من القصص والآيات

---

(١) الكشاف ج ٣/٤ .

(٢) ورد ذكره الكتاب في القرآن الكريم (٣١٩) مرة - ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٥٩١-٥٩٥ مادة كتب وكتاب .

(٣) وغراء : واسعة . وغرفية : مدبوغة بالغرف ، وهو نبت تدبغ به الجلود .والثأى : بسكون الهمزة وفتحها : خرم خرز الأديم . والمشلشل : الذي يكاد يتصل قطره وسيلانه لتتابعه .

والأحكام ، والأخبارعلى أوجه مخصوصة ، ويسمى المكتوب كتابا مجاز ، قال الله تعالى ، « في كتاب مكنون » (١) أي اللوح المحفوظ .

والكتاب هو خط الكاتب حروف المعجم مجموعة أو متفرقة .

والكتابة حركات تقوم بمحل قدرة الكاتب ، خطوط موضوعة مجتمعة تدل على المعنى المقصود ، وقد يغلط الكاتب فلا تدل على شيء . (٢) وعلى هذا فإن « الكتاب » مصدر كالقيام والصيام . وقيل ، فعال بمعنى مفعول كاللباس بمعنى الملبوس .

والأصل في الكتابة النظم بالخطوط وقد يقال ذلك للمضموم بعضه إلى بعض باللفظ ، ولذا يستعاد كل واحد للآخر ، ولذا سمى كتاب الله وإن لم يكن كتابا .

والكتاب هنا إما باق على المصدرية وسمي به المفعول للمبالغة ، أو هو بمعنى المفعول واطلق على المنظوم عبارة قبل أن تنظم حروفه التي يتالف منها في الخط تسميته بما يؤول إليه مع المناسبة .

ويطلق الكتاب كالقرآن على المجموع المنزل على النبي المرسل صلى الله عليه وسلم وعلى القدر الشائع بين الكل والجزء .

واللام في الكتابة للحقيقة مثلها في "أنت الرجل" والمعنى ذلك هو الكتاب الكامل الحقيقي بأن يخص بما سم الكتاب لغاية تفوقه علة بقية الأفراد في حيازة كمالات الجنس حتى

---

(١) الواقعة / ٧٨ .

(٢) البرهان في علوم القرآن: للزركشي ج ١ / ٢٧٧ .

كأن ما عداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة إليه .

وقال ابن عصفور : كل لام وقعت بعد اسم الإشارة وأى فى النداء ، وإذا الفجائية فهى للعهد الحضورى .

وقد ذكر الله جل ثناؤه لفظ "الكتاب" اسماً للقرآن الكريم فى الآيات الأولى ، أو الثانية فى كثير من سور القرآن الكريم ، وذلك فى : البقرة ، ويونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وابراهيم ، والحجر ، والكهف ، والشعراء ، والنمل ، والقصص ، ولقمان .

ومن صفات هذا الاسم فى القرآن الكريم : الكتاب الذى لا ريب فيه ، الكتاب المبارك ، والكتاب العزيز ، والكتاب المتلو ، والكتاب المفصل ، والكتاب الحكيم ، والكتاب المهيمن ، والكتاب المنير ، والكتاب المنزل . وفيما يلى إشارة إلى هذا الاسم فى البيان القرآنى الكريم :

(ا) الكتاب الذى لا ريب فيه :

قال الله تعالى : (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه) (١) ذهب بعض المفسرين إلى أن "ذلك" بمعنى هذا ، والعرب تعارض بين اسمى الإشارة فيستعملون كلا منهما مكان الآخر وهذا معروف فى كلا منهم ، وقد حكاه البخارى عن معمر ابن المثنى عن أبى عبيدة .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : ذلك الكتاب ، أى هذا الكتاب (٢) .

وقال الألوسى : "ذلك" إشارة إلى "الكتاب" الموعود به

---

(١) البقرة / ١-٢ (٢) تفسير القرآن العظيم ج ١ / ٣٩

صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : « إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا » (١) ويؤيده ما روى عن كعب عليكم بالقرآن ، فإنه فهم العقل ونور الحكمة وينابيع العلم وأحدث الكتب بالله عهدا (٢) .

وأورد على ذلك أن المشار إليه هنا حاضر ، "وذلك" اسم مبهم يشار به غلى البعيد .

وأجيب عن ذلك بوجهين :

الأول :

لا نسلم أن المشار إليه حاضر ، وبيانه من عدة وجوه :

أحدها : ما قاله الأصم وهو أن الله تعالى أنزل الكتاب بعضه على بعض ، فنزل قبل سورة البقرة سور كثيرة ، وهي كل ما نزل بمكة مما فيه الدلالة على التوحيد وفساد الشرك وإثبات المعاد ، فقوله "ذلك" إشارة إلى تلك السور التي نزلت قبل هذه السورة ، وقد يسمى بعض القرآن قرآنا ، قال الله تعالى « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له » (٣) وقال حاكيا عن الجن « إنا سمعنا قرآنا عجبا » (٤) وقوله « إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى » (٥) وهم ما سمعوا إلا البعض ، وهو الذى كان قد نزل إلى ذلك الوقت .

ثانيها : أنه تعالى وعد رسوله عند مبعثه أن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماحي وهو عليه السلام اخبر أمته بذلك . وروت الأمة ذلك عنه ، ويؤيده قوله تعالى : « إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا » (٦) وهذا في سورة

---

(١) المزمل / ٥ . (٢) روح المعاني للألوسي ج ١ / ١٠٥ .
(٣) الأعراف / ٢٠٤ (٤) الجن / ١ .
(٥) الأحقاف / ٣٠ (٦) المزمل / ٥ .

المزمل ، وهى إنما نزلت فى ابتداء المبعث .

ثالثها : أنه تعالى خاطب بنى إسرائيل لأن سورة البقرة مدنية ، وأكثرها احتجاج على بنى اسرائيل ، وقد كانت بنو اسرائيل أخبرهم موسى وعيسى عليهما السلام أن الله يرشد محمدا صلى الله عليه وسلم وينزل عليه كتابا فقال : « ذلك الكتاب » أى الكتاب الذى أخبر الأنبياء المتقدمون بأن الله سينزله على النبى المبعوث من ولد اسماعيل .

رابعها : أنه تعالى لما أخبر عن القرآن بأنه فى اللوح المحفوظ بقوله : « وإنه فى أم الكتاب لدينا » (١) وقد كان عليه السلام أخبر أمته بذلك فغير ممتنع أن يقول تعالى : « ذلك الكتاب » ليعلم أن هذا المنزل هو ذلك الكتاب المثبت فى اللوح المحفوظ .

خامسها : أنه وقعت الإشارة بذلك إلى "الم" بعدما سبق المتكلم به وانقضى ، والمنقضى فى حكم المتباعد .

سادسها : أنه لما وصل من المرسل إلى المرسل إليه وقع فى جو البعد ، كما تقول لصاحبك - وقد أعطيته شيئا - احتفظ بذلك .

سابعها : أن القرآن لما اشتمل على حكم عظيمة وعلوم كثيرة يتعسر اطلاع القوة البشرية عليها بأسرها - والقرآن وإن كان حاضرا نظرا إلى صورته لكنه غائب نظرا إلى أسراره وحقائقه - فجاز أن يشار إليه كما يشار إلى البعيد الغائب .

---

(١) الزخرف / ٤ .

والوجه الثاني :

سلمنا ان المشار إليه حاضر ، لكن لا نسلم ان لفظ "ذلك" لا يشار بها إلا إلى البعيد ، بيانه : ان "ذلك" وهذا حرف إشارة واصلهما ، "ذا" ، لأنه حرف للإشارة قال تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا » «١» ويعنى "ها" تنبيه : فإذا قرب الشيء اشير إليه فقيل : هذا ، اى تنبيه ايهما المخاطب ، لما اشرت إليه فإنه حاضر لك بحيث تراه ، وقد تدخل الكاف على "ذا" للمخاطبة واللام لتاكيد معنى الإشارة فقيل : "ذلك" فكان المتكلم بالغ فى التنبيه لتاخر المشار إليه عنه ، فهذا يدل على ان لفظة "ذلك" لا تفيد البعد فى اصل الوضع ، بل اختص فى العرف بالإشارة إلى البعيد للقرينة التى ذكرناها ، فصارت كالدابة ، فانها مختصة فى العرف بالفرس وان كانت فى اصل الوضع متناولة لكل ما يدب على الأرض . وإذا ثبت هذا فنقول : انا نحمله ها هنا على مقتضى الوضع اللغوى ، لا على مقتضى الوضع العرفى ، وحينئذ لا يفيد البعد ، ولأجل هذه المقارنة يقام كل واحد من اللفظين مقام الآخر ، قال الله تعالى : « واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب » إلى قوله « وكل من الأخيار » ثم قال : « هذا ذكر » وقال : « وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب » «٢» .

وقال عز شانه : « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » «٣» وقال تعالى ذكره : « فاخذه الله نكال الآخرة والأولى إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى » «٤» وقال الله جل ثناؤه : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادى الصالحون » ثم قال جل ذكره « إن فى هذا

---

(١) الحديد / ١١ (٢) ص / ٤٥ - ٥٣ .
(٣) ق / ١٩ . (٤) النازعات / ٢٥ - ٢٦ .

لبلاغا لقوم عابدين » (١) ، (٢) .

وعلى ضوء ما سبق يمكن القول : ان صيغة البعيد والقريب وذلك - غير ما سبق - كقوله تعالى فى قصة موسى عليه السلام « ذلك نتلوه عليك » (٣) ثم قال تعالى ذكره : « إن هذا لهو القصص الحق » (٤) وله نظائر فى الكتاب الكريم ، وأنشدوا :

اقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا إننى انا ذلكا

وليس بنص لاحتمال أن يكون المراد ، اننى انا ذلك الذى كنت تحدث عنه وتسمع به .

وقوله الإمام الرازى رحمه الله إن ذلك للبعيد عرفا لا وضعا فحمله هنا على مقتضى الوضع اللغوى لا العرفى مخالف لما نفهمه من أرباب العربية (٥) .

٣- الكتاب المنزل :

قال الله جل شانه « وهذا كتاب انزلناه مبارك » (٦) الإشارة فى قوله : « هذا » إلى القرآن ، واخبر عنه بأنه كتاب ، وأتى به منكرا للتفخيم وجمله « انزلناه » فى موضع الرفع صفة له .

والمقصود من التعبير بقوله « انزلناه » ان يعلم أنه من عند الله تعالى لا من عند الرسول ، لأنه لايبعد أن يخص الله

---

(١) الأنبياء / ١٠٥ - ١٠٦ .
(٢) التفسير الكبير للرازى ج ١ / ١٣ - ١٤ .
(٣) آل عمران / ٥٨ .
(٤) آل عمران ٦٢ .
(٥) روح المعانى للآلوسى ج ١ /١٠٥ .
(٦) الأنعام / ٩٢ .

محمدا صلى الله عليه وسلم بعلوم كثيرة يتمكن بسببها من تركيب الفاظ القرآن على هذه الصفة ، وانه تعالى هو الذى تولى إنزاله بالوحى على لسان جبريل عليه السلام (١) .

ولما كان الإنكار إنما وقع على الإنزال فقالوا : « ما انزل الله » (٢) وقيل « قل من أنزل الكتاب » (٣) كان تقديم وصفه بالإنزال آكد من وصفه بكونه مباركا ، ولأن ما انزل الله تعالى فهو يبارك قطعا ، فصارت الصفة بكونه مباركا ، كانها صفة مؤكدة ، إذ تضمنها ما قبلها ، فأمـــا قوله تعالى : « وهذا ذكر مبارك انزلناه » (٤) فلم يرد فى معرض إنكار ان ينزل الله شيئا ، بل جاء عقب قوله تعالى « ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين » (٥) ذكر أن الذى آتاه الرسول هو فعل ، ولما كان وصفه بالبركة وصفا لا يفارق عبر بالاسم الدال على الثبوت (٦) .

٣ - الكتاب المبارك :

قال الله تعالى ذكره : « وهذا كتاب انزلناه مبارك » (٧) يقول عز شانه : وهذا القرآن يا محمد - صلى الله عليه وسلم - كتاب - وهو اسم من اسماء القرآن - ومعناه مكتوب ، فوضع الكتاب مكان المكتوب « انزلناه مبارك » وهو مفاعل من البركة ، (٨) فهو مبارك كثير النفع والفائدة ،

---

(١) التفسير الكبير للرازى ج ١٣ / ٨٥ من المجلد السابع .
(٢) الأنعام / ٩١ . (٣) الأنعام /٩١ .
(٤) الأنبياء / ٥٠ . (٥) الأنبياء / ٤٨ .
(٦) البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ج ٤/١٧٩ .
(٧) الأنعام / ٩٢ .
(٨) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ٧ / ١٩٠ من المجلد الخامس .

لاشتماله على منافع الدارين وعلوم الأولين والآخرين «١» صفة بعد صفة .

وقد جاءت تلك الصفة فى آية أخرى فى قوله عز شانه : « كتاب انزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الألباب » «٢» فقوله تعالى : « مبارك » اى كثير المنافع الدينية والدنيوية خبر ثاني للمبتدأ «٣» أو صفة « كتاب » عند من يجوز تأخير الوصف الصريح عن غير الصريح .

وقرىء « مباركا » بالنصب على انه حال من مفعول « انزلنا » وهى حال لازمه لأن البركة لا تفارقه «٤» - جعلنا الله تعالى فى بركاته ونفعنا بشريف آياته - يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « وهذا القرآن كتاب انزلناه إليك يا محمد مبارك ليتدبروا حجج الله التى فيه ، وما شرع فيه من شرائعه فيتعظوا ويعملوا به «٥» .

وقوله عز وجل : « ليدبروا آياته » متعلق بأنزلناه ، وجوز أن يكون متعلقا بمحذوف يدل عليه - واصله « ليتدبروا » بتاء بعد الياء آخر الحروف ، فادغمت التاء فى الدال - وفى هذا دليل على ان الترتيل افضل من الهذ «٦» ، إذ لا يصح التدبر مع الهذ .

---

(١) روح المعانى للألوسى ج ٧/ ٢٢١ من المجلد السابع .

(٢) سورة ص / ٢٩ .

(٣) كتاب : خبر لمبتدأ محذوف هو عبارة عن القرآن او السورة ، ويجوز على الثانى تقديره مذكرا اى هو أو هذا هو ، وهو الأولى عند جمع رعاية للخبر ، وتقديره مؤنثا رعاية للمرجع .

(٤) روح المعانى للألوسى ج ٢٣ / ١١٨٩ من المجلد الثامن والبحر المحيط ج ٧ / ٣٩٥ - ٣٩٦ .

(٥) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ٢٣ /٩٨ من المجلد العاشر .

(٦) الهذ : سرعة القراءة .

وقـراءة الـعامـة « ليدبروا » . وقرأ أبـو جعـفر وشيبة « لتدبروا » بتاء وتخفيف الدال ، وهي قراءة على رضى الله عنه ، والأصل لتتدبروا ، فحذف إحدى التاءين تخفيفا «١» . وفي الألوسي أن عليا قرأ « ليتدبروا » بتاء بعد الياء آخر الحروف وكذا في البحر لأبي حيان «٢» .

يقول الطبري : « اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة القراء : « ليدبروا » بالياء يعني ليتدبر هذا القرآن بين أرسلناك إليه من قومك يا محمد ، وقرأه أبو جعفر وعاصم « لتدبروا آياته » بالتاء بمعنى : لتتدبر ، أنت يا محمد واتباعك . وأولى القراءتين عندنا بالصواب في ذلك أن يقال : انهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى ، فبايتهما قرأ القارىء فمصيب «٣» .

لسائل أن يسأل فيقول : إنه تعالى حكى في أول السورة - سورة ص - عن المستهزئين من الكفار ، أنهم بالغوا في إنكار البعث والقيامة وقالوا « ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب » «٤» ولما حكى الله تعالى عنهم ذلك لم يذكر الجواب ، بل قال « اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود » «٥» ومعلوم أنه لا تعلق لذكر داود عليه السلام بأن القول بالقيامة حق ، ثم أنه تعالى أطنب في شرح قصة داود ، ثم اتبعه بقوله « وما خلقنا السماء والأرض » «٦» ومعلوم أنه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٥ /١٩٢ .

(٢) روح المعاني للألـوسي ج ٢٣ /١٨٩ من المـجلد الثامن والبحر المحيط لأبي حيان ج ٣٩٦/٧ .

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن ج ٢٣/ ٩٨ من المجلد العاشر .

(٤) سورة ص /١٦ .

(٥) سورة ص /١٧ .

(٦) سورة ص /٢٧ .

لا تعلق لمسالة إثبات حكمة الله بقصة داود ، ثم لما ذكر اثبات حكمة الله وفرع عليه اثبات ان القول بالحشر والنشر حق ، ذكر بعده ان القرآن كتاب شريف فاضل كثير النفع والخير ، ولا تعلق لهذا الفصل بالكلمات المتقدمة وإذا كان كذلك كانت هذه الفصول فصولا مباينة لا تعلق للبعض منها بالبعض ، فكيف يليق بهذا الموضع وصف القرآن بكونه كتابا شريفا فاضلا ؟ .

والجواب ان نقول : إن الكفار بالغوا في انكار الحشر والنشر والقيامة إلى حيث قالوا على سبيل الاستهزاء « ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب » . فقال : يا محمد اقطع الكلام في هذه المسالة ، واشرع في كلام آخر اجنبي بالكلية عن هذه المسالة ، وهي قصة داود عليه السلام ، فإن من المعلوم انه لا تعلق لهذه القصة بمسالة الحشر والنشر ، ثم إنه تعالى أطنب في شرح هذه القصة . ثم قال في آخر القصة « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق » وكل من سمع هذا قال : نعم ما فعل حيث أمره بالحكم بالحق ، ثم كأنه تعالى قال : وأنا لا آمرك بالحق فقط ، بل انا مع اني رب العالمين لا افعل إلا بالحق ولا اقضي بالباطل ، فها هنا الخصم يقول نعم ما فعل حيث لم يقض إلا بالحق ، فعند هذا يقال لما سلمت ان حكم الله يجب أن يكون بالحق لا بالباطل ، لزمك ان تسلم صحة القول بالحشر والنشر ، لأنه لو لم يحصل ذلك لزم أن يكون الكافر راجحا على المسلم في إيصال الخيرات إليه ، وذلك ضد الحكمة وعين الباطل ، فهذا الطريق اللطيف اورد الله تعالى الالزام القاطع على منكرى الحشر والنشر ايراد لا يمكنهم الخلاص عنه . فصار ذلك الخصم الذى بلغ في انكار المعاد إلى حد الاستهزاء مفحما ملزما بهذا الطريق ولما ذكر الله تعالى هذه الطريقة الدقيقة في الالزام في القرآن ، لا جرم وصف القرآن بالكمال والفضل ، فقال « كتاب انزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب »[1] فان من لم يتدبر ولم يتامل ولم

---

(1) ص / ٥٥ .

يساعده التوفيق الإلهي لم يقف على هذه الأسرار العجيبة المذكورة في هذا القرآن العظيم حيث يراه في ظاهر الحال مقرونا بسوء الترتيب ، وهو في الحقيقة مشتمل على أكمل جهات الترتيب (١) .

هذا وقد سمى الله تعالى به أشياء ، فسمى الموضع الذي كلم فيه موسى عليه السلام مباركا « في البقعة المباركة من الشجرة » (٢) وسمى شجرة الزيتون مباركة « يوقد من شجرة مباركة زيتونة » (٣) لكثرة منافعها .
وسمى عيسى مباركا « وجعلني مباركا » .
وسمى المطر مباركا « ونزلنا من السماء ماء مباركا » (٥) لما فيه من المنافع .
وسمى ليلة القدر مباركة « إنا أنزلناه في ليلة مباركة » (٦)
فالقرآن ذي الذكر مبارك أنزله ملك مبارك في ليلة مباركة على نبي مبارك لأمة مباركة .

(٤) الكتاب المصدق :

قال الله تعالى ذكره : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه » (٧) صفة أخرى والإضافة غير محضة (٨)

---

(١) التفسير الكبير للرازي ج ٢٦ / ٢٠٢ .
(٢) القصص/ ٣٠ . (٣) النور/ ٣٥ . (٤) مريم / ٣١ .
(٥) ق / ٩ . (٦) الدخان /٣ (٧) الأنعام /٩٢ .
(٨) أي الإضافة غير الحقيقية ، والمقصود بها الإضافة التي ليس بين طرفيها قوة اتصال وارتباط ، لأنها على نية الانفصال ، إذ يفصل بين المضاف والمضاف إليه ضمير مستتر ، فإذا قلنا : (على فاهم الدرس) مضاف ومضاف إليه ، لكن (فاهم) اسم فاعل ، وفاعله ضمير مستتر ، فكأنه فصل بين المضاف والمضاف إليه ، وكلمة الدرس مع أنها مضاف غليه فهي مفعول به في المعنى إذ يمكن أن نعدل عن الإضافة ونقول : على (فاهم الدرس) .

والمراد بالموصول إما التوراة ، لأنها أعظم كتاب نزل قبل ، ولأن الخطاب مع اليهود ، وأما ما يعمها وغيرها من الكتب السماوية . وتذكير الموصول باعتبار الكتاب ، أو المنزل ، أو نحو ذلك ، ومعنى كونها بين يديه أنها متقدمة عليه ، فإن كل ما كان بين اليدين كذلك ، وتصديقه للكل فى اثبات التوحيد والأمر به ، ونفى الشرك والنهى عنه (١) وفى سائر أصول الشرائع التى لا تنسخ .

والمراد كونه مصدقا لما قبله من الكتب ، والأمر فى الحقيقة كذلك ، لأن الموجود فى سائر الكتب الإلهية اما علم الأصول ، واما علم الفروع ؛
أما علم الأصول ، فيمتنع وقوع التفاوت فيه بسبب اختلاف الزمنة والأمكنة فوجب القطع بأن المذكور فى القرآن موافق ومطابق لما فى التوراة والزبور والانجيل وسائر الكتب الإلهية .
وأما علم الفروع ، فقد كانت الكتب الإلهية المتقدمة على القرآن مشتملة على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم ، وإذا كان الأمر كذلك فقد حصل فى تلك الكتب أن التكاليف الموجودة فيها ، أنها تبقى إلى وقت ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ، وأما بعد ظهور شرعه فانها تصير منسوخة ، فثبت أن تلك الكتب دلت على ثبوت تلك الأحكام على هذا الوجه ، والقرآن مطابق لهذا المعنى وموافق ، فثبت كون القرآن مصدقا لكل الكتب الإلهية فى جملة علم الأصول والفروع (٢) .

والذى نخلص إليه ان القرآن الكريم « مصدق الذى بين

---

(١) روح المعانى للألوسى ج٧ / ٢٢١ من المجلد الثالث . والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٧ / ٣٨ .
(٢) التفسير الكبير للرازى ج ١٣ / ٨٥ – ٨٦ من المجلد السابع وغرائب القرآن للنيسابورى ج ٧ / ١٩١ .

يديه » أي موافق لما قبله من الكتب الإلهية ، أما في الأصول ، فلأنه يمتنع وقوع التفاوت فيها بحسب الأزمنة والأمكنة . وأما في الفروع ، فلأنها مشتملة على التبشير بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحصل منه أن التكاليف الموجودة فيها إنما تبقى إلى وقت ظهوره ، ثم تصير منسوخة .

(٥) الكتاب العزيز :

قال عز شأنه « وإنه لكتاب عزيز » (١) وسمي بذلك . لأنه يعجز ويعز على من يروم أن يأتي بمثله فيتعذر ذلك عليه ، لقوله تعالى « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (٢) والقديم لا يكون له مثل إنما المراد أن يأتوا بمثل هذا الإبلاغ والإخبار والقراءة بالوضع البديع (٣) وهذا يفيد أمرين :
أحدهما : أن « العزيز » معناه الغالب القاهر .
والثاني : أن معناه الذي لا يوجد نظيره ، أما كون القرآن عزيزا بمعنى كونه غالبا فالأمر كذلك ، لأنه بقوة حجته غلب على كل ما سواه ، وأما كونه عزيزا بمعنى عدم النظير ، فالأمر كذلك ، لأن الأولين والآخرين عجزوا عن معارضته (٤) .

وقيل المراد « بالعزيز » نفي المهانة عن قارئه إذا عمل به (٥) .
وقيل وصف بالعزة ، لأنه لصحة معانيه ممتنع الطعن فيه ،

---

(١) فصلت / ٤١ (٢) الإسراء / ٨٨ .
(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ١ / ٢٧٩ .
(٤) التفسير الكبير للرازي ج ٢٧/١٣٢ ، المجلد الرابع عشر .
(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ١ / ٢٧٩ .

والازدراء عليه ، وهو محفوظ من الله لا يأتيه الباطل (١) .

والذى نخلص إليه أن « العزيز » هو الذى لا يوجد نظيره ، أو منيع لانتفاء معارضته وأصل العز حالة مانعة للإنسان عن أن يغلب ، وإطلاقه على عدم النظير مجاز مشهور ، وكذا كونه منيعا (٢) . والجملة حالية - مفيدة لغاية شناعة الكفر به - كما تقول : « جاء زيد وإن يده على رأسه » أى كفروا به وهذه حالة ، وعزته كونه عديم النظير لما احتوى عليه من الإعجاز الذى لا يوجد فى غيره من الكتب الإلهية (٣) .

والله هو العزيز « وإن ربك لهو العزيز الرحيم » (٤) والنبى صلى الله عليه وسلم عزيز قال عز شانه « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه » (٥) والأمة عزيزة « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » (٦) فرب عزيز أنزل كتابا عزيزا على نبى عزيز لأمة عزيزة .

وللعزيز معنيان :

أحدهما : القاهر ، والقرآن كذلك ، لأنه هو الذى قهر الأعداء ، وامتنع من أراد معارضته .

والثاني : أن لا يوجد مثله .

---

(١) البحر المحيط ج ٧ / ٥٠١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٥ / ٣٦٧ .
(٢) روح المعانى للآلوسى ج٢٤ / ١٢٧ من المجلد الثامن .
(٣) البحر المحيط ج ٧ / ٥١١ .
(٤) الشعراء / ١٩١ ، وقال تعالى (إن الله لقوى عزيز) الحج ٤٠ و ٧٤ .
(٥) التوبة / ١٢٨ ، (٦) المنافقون / ٨ .

الكتاب المبين :

قال الله تعالى ذكره : « حم والكتاب المبين » (1) أى المبين لمن أنزل عليهم ، لكونه بلغتهم وعلى أساليب كلامهم على أنه من أبان اللازم .

وقيل : المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لأصول ما يحتاج إليه فى أبواب الديانة على أنه من أبان المتعدى (2) .

قال ابن جرير الطبرى قوله « والكتاب المبين » قسم من الله تعالى أقسم بهذا الكتاب الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال : والكتاب المبين لمن تدبره وفكر فى عبره وعظاته هداه ورشده ، وأدلته على حقيقته ، وأنه تنزيل من حكيم حميد لا اختلاق من محمد صلى الله عليه وسلم ،

---

(1) الزخرف / 1 - 2 .

والمراد ب (الكتب) القرآن ؛ والمراد به جميعه ، وجوز إرادة جنسه الصادق ببعضه وكله ، وقيل : يجوز أن يراد به جنس الكتب المنزلة ، أو المكتوب فى اللوح ، أو المعنى المصورى وهو الكتابة والخط ، وأقسم سبحانه بها لما فيها من عظيم المنافع ، ولا يخفى ما فى ذلك ، والأولى على تقدير أسميه (حم) على تقدير كونه مجرورا بإضمار باء القسم ، على أن مدار العطف المغايرة فى العنوان ، لكن يلزم على هذا حذف حرف الجر ، وابقاء عمله كما فى قوله : أشارت كليب بالأكف والأصابع ومنع أن يقسم بشيئين بحرف واحد لا يلتفت إليه ، ومناط تكرير القسم المبالغة فى تأكيد الجملة القسمية . (روح المعانى للألوسى ج 25 / 26 والتفسير الكبير للرازى ج 27 / 197 .

(2) روح المعانى للألوسى ج 25 / 26 .

ولا افتراء من أحد (١) .

وقال بعض العلماء : البيان ما يظهر به المعنى للنفس عند الإدراك بالبصر والسمع ، وذلك على خمسة أوجه : لفظ وخط وإشارة وعقد وهيئة ، كالاعراض وتكليح الوجه (٢) .

والذى نخلص إليه أن فى وصف الكتاب بكونه مبينا عدة وجوه أظهرها :

- أنه المبين للذين انزل إليهم ، لأنه بلغتهم ولسانهم ، فهو البين الواضح الجلى المعانى والألفاظ ، لأنه نزل بلغة العرب التى هى أفصح اللغات للتخاطب بين الناس .

(٧) الكتاب المنير :

قال الله تعالى : « فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا البينات والزبر والكتاب المنير » (٣) ، (٤) أى الموضح ، أو الواضح المضيء من قولك أنرت الشيء انيره ، اى أوضحته ، يقال : نار الشيء وأناره ونوره واستناره بمعنى ،

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٢٤ / ٣٩ من المجلد الحادى عشر .

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج ٢٤ / ٥٣ .

(٣) آل عمران / ١٨٤ وقوله تعالى (والزبر) اى الكتاب المزبورة ، يعنى المكتوبة . والزبر جمع زبور وهو الكتاب ، وأصله من زبرت اى كتبت ، وكل زبور فهو كتاب ، وقال امرؤ القيس :

لمن طلل أبصرته فشجانى * كخط زبور فى عسيب يمانى

وأنا أعرف تزبرتى أى كتابى . وقيل : الزبور من الزبر بمعنى الزجر ، وزبرت الرجل انتهرته . وزبرت البئر طويتها بالحجارة

(٤) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ج ١ / ٨٩ .

وكل واحد منهما لازم ومتعد (١) .

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدى أنه القرآن ، ومعنى مجيء الرسل به مجيئهم بما اشتمل عليه من أصول الدين على ما يشير عليه قوله تعالى ، ﴿ وإنه لفي زبر الأولين ﴾ (٢) ، (٣).

وعن قتادة أن المراد به الزبر ، والشيء يضاعف بالاعتبار وهو واحد.

وقيل المراد به التوراة والانجيل ، والزبور ، وهو في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والأحكام ، ولذلك جاء هو والحكمة متعاطفين في عامة المواقف .

ووجه إفراد الكتاب بناء على القول الأول ظاهر ، ولعل وجه إفراده بناء على القول الثاني والثالث ، وان أريد منه الجنس الصادق بالواحد والمتعدد الرمز إلى ان الكتب السماوية وإن تعددت فهي من بعض الحيثيات كشيء واحد (٤) .

(٨) الكتاب المتشابه :

قال الله عز شانه ﴿ كتابا متشابها ﴾ (٥) أى يشبه بعضه بعضا في الحسن والحكمة ، ويصدق بعضه بعضا ، ليس فيه تناقض ولا اختلاف .

وقيل يشبه بعضه بعضا في الآى والحروف .
وقيل يشبه كتب الله المنزلة على أنبيائه ، لما يتضمنه من

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٤ / ٢٩٦ .
(٢) الشعراء / ١٩٦ .
(٣) روح المعاني للألوسي ج ٤ / ١٤٥ من المجلد الثاني .
(٤) روح المعاني – للألوسي ج ٤ / ١٤٥ .
(٥) الزمر / ٢٣ .

أمر ونهى وترغيب وترهيب وان كان اعم واعجز (١) .

وقيل انه يشبه بعضا بعضا فى الإعجاز اللفظى والمعنوى والنظم الأنيق والأسلوب العجيب ، والاشتمال على النبوى ، وعلى أصول العلوم . وقيل يشبه اللفظ والمعنى مختلف (٢) .

وهذه الآية الكريمة - « كتابا متشابها » - تدل على أن القرآن الكريم كله متشابه ، وقوله تعالى ذكره : « هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات » (٣) يدل على كون البعض متشابها دون البعض وأما كونه كله متشابها كما فى هذه الآية ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما : إنه يشبه بعضه بعضا ، وهذا التشابه يحصل فى أمور :

أحدها : أن الكاتب البليغ إذا كتب كتابا طويلا فإنه يكون بعض كلماته فصيحا ، ويكون البعض غير فصيح ، والقرآن يخالف ذلك فإنه فصيح كامل الفصاحة بجميع أجزائه .

وثانيها : أن الفصيح إذا كتب كتابا فى واقعه بالفاظفصيحةفلو كتب كتابا آخر في غير تلك الواقعة كان الغالب أن كلامه في الكتاب الثانى غير كلامه فى الكتاب الأول والله تعالى حكى قصة موسى عليه السلام في مواضع كثيرة من القرآن وكلها متساوية متشابهة فى الفصاحة .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٥ / ٢٤٩ . وجامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ٢٣ / ١٣٤ - ١٣٥ من المجلد العاشر .

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج ٢٣ / ١٣٥ بهامش الطبرى .

(٣) سورة آل عمران / ٧ .

وثالثها : أن كل ما فيه من الآيات والبيانات فإنه يقوى بعضه بعضا ، ويؤكد بعضها بعضا .

ورابعها : أن هذه الأنواع الكثيرة من العلوم التي عددناها متشابهة متشاركة في أن المقصود منها بأسرها الدعوة إلى الدين ، وتقرير عظمة الله تعالى ، ولذلك فإنك لا ترى قصة من القصص إلا ويكون متحصلها المقصود الذي ذكرناه ، فهذا هو المراد من كونه متشابها (١) .

المثاني :

قال الله تعالى ، « كتابا متشابها مثاني » (٢) فقوله عز وجل « مثاني » جمع مثنى ومثني بمعنى مكرر لما ثنى من قصصه ، وأحكامه ، ومواعظه ، أو لأنه يثنى في التلاوة فلا يورث ملالا ، كقوله صلى الله عليه وسلم ، "ولا يخلق على كثرة الرد" (٣) ، (٤) .

وقيل أنه ، اسم الفاتحة وحدها (٥) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قوله « مثاني » قال ، كتاب الله مثاني ثنى فيه الأمر مرارا ، أو لأن الله عز وجل

---

(١) التفسير الكبير للرازي ج ٢٦ / ٢٧١ .

(٢) الزمر / ٢٣ .

(٣) أخرجه ، الترمذي في ثواب القرآن ، باب فضل القرآن عن عبد الله الهمداني الأعور عن علي بن أبي طالب رقم ٢٩٠٨ وقال الترمذي هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده مجهول والدارس ج ٢ / ٤٣٥ وأحمد في المسند رقم ٧٠٤ من طريق محمد بن اسحاق .

(٤) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج ٢٣ / ١٣٥ .

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ١ / ٢٨٠ .

ثنى فيه الفرائض والقضاء والحدود (١) .

وقال الرازى فى تبيين « مثانى » أن أكثر الشياء المذكورة فى القرآن متكررة زوجين زوجين مثل الأمر والنهى والعام والخاص والمجمل والمفصل ، وأحوال السماوات والأرض والجنة والنار والنور والظلمة واللوح والقلم ، والملائكة والشياطين ، والعرش والكرسى ، والوعد والوعيد ، والرجاء والخوف .

والمقصود من ذلك البيان بأن كل ما سوى الحق زوج ، وأن الفرد الأحد الحق هو الله سبحانه (٢) .

ولا يخفى ما فى كلامه هذا من التكلف والبعد عن مقصود التنزيل (٣) .

والذى نخلص إليه أن قوله تعالى « مثانى » جمع مثنى ، ومعناه تثنية القصص والأحكام والعقائد ، والوعد والوعيد . وقيل يثنى فى الصلاة بمعنى التكرير والإعادة .

ووصف المفرد بالجمع ، لأن فيه تفاصيل وتفاصيل الشيء جملته ، الا ترى أنك تقول : القرآن سور وآيات ، فكذلك تقول : أحكام ومواعظ مكررات ، وأصله « كتابا متشابها ولا مثانى » حذف الموصوف وأقيمت صفته مقامه (٤) .

وأجاز الزمخشرى أن يكون من باب « برقية أعشار ، وثوب أخلاق » وأن يكون تمييزا عن « متشابها » ، فيكون منقولا من الفاعل ، أى متشابها مثانية ، كما تقول : رأيت

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج٢٣ / ١٣٥ .
(٢) التفسير الكبير للرازى ج ٢٦ / ٢٧٣ من المجلد الثالث عشر.
(٣) فتح القدير ج ٤ / ٤٥٩ .
(٤) البحر المحيط ج ٧ / ٣٩٥ .

رجلا حسنا شمائل (١) .

وفائدة تثنيته وتكريره رسوخه في النفوس ، إذ هي أنفر شيء عن سماع الوعظ والنصيحة ، ومن ثم كانت عادة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان ينط به وينصح ثلاث مرات وسبعا ، ليركزه في قلوبهم ، ويغرسه في صدورهم (٢) .

(١٠) الكتاب المفصل :

قال الله جل ثناؤه (وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا) (٣) ، (٤) أي مبينا فيه الحق والباطل ، والحلال والحرام ، وغير ذلك من الأحكام بحيث لم يبق أمر الدين شيء من التخطيط والإبهام ، فأي حاجة بعد ذلك إلى الحكم وهذا كما ترى صريح في أن القرآن الكريم كاف في أمر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله ، وأما أن يكون لإعجازه دخل في ذلك كما قيل .

---

(١) الكشاف ج ٣ / ٣٩٥ .

(٢) السابق : ج ٣ / ٣٩٥ بتصرف .

(٣) جملة حالية مؤكدة للإنكار ، ونسبة الإنزال عليهم خاصة على أن مقتضى المقام اظهار تساوي نسبته إلى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم إلى قبول حكمه بإبهام قوة نسبته عليهم . وقيل لأن ذلك أوفق بصدد الآية بناء على أن المراد بها الإنكار عليهم ، وإن عبر اظهار للنصفة ، ومعنى الآية : عند بعض المحققين : أغيره تعالى أبتغي حكما والحال أنه هو الذي أنزل إليكم الكتاب وأنتم أمة أمية لا تدرون ما تأتون وما تدرون القرآن الناطق بالحق .

(٤) الأنعام / ١١٤ .

ولا يخفى أن ملاحظة الإعجاز أمر مطلوب على تقدير كونه الآية مرتبطة معنى بقوله سبحانه : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله » (١) . وبيان ذلك : أنه سبحانه وتعالى لما حكى عن الكفار أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أتتهم آية ليؤمنن بها ، أجاب عنه جل شأنه بأنه لا فائدة في إظهار تلك الآيات لأنه تعالى لو أظهرها لثبتوا مصرين على كفرهم ، ثم أنه تعالى بين في هذه الآية أن الدليل الدال على نبوته صلى الله عليه وسلم قد حصل وكمل فكان ما يطلبونه طلبا للزيادة ، وذلك مما لا يجب الالتفات إليه ، ثم نبه على حصول الدليل من هذه الآية بوجهين :

الأول : أنه تعالى أنزل إليه الكتاب المفصل المبين على العلوم الكثيرة والفصاحة الكاملة ، وقد عجزوا الخلق عن معارضته ، فيكون ظهور هذا المعجز دليلا على أنه تعالى قد حكم بنبوته فمعنى الآية قل يا محمد - صلى الله عليه وسلم - أنكم تتحكمون في طلب سائر المعجزات ، فهل يجوز في العقل أن يطلب غير الله سبحانه وتعالى حكما ، فإن كل أمر يقول : إن ذلك غير جائز ، ثم قل : إن الله تعالى حكم بصحة نبوتي حيث خصني بمثل هذا الكتاب المفصل الكامل البالغ إلى حد الإعجاز .

الثاني : اشتمال التوراة والانجيل على الآيات الدالة على أنه صلى الله عليه وسلم رسول حق ، وعلى أن القرآن كتاب حق من عند الله تعالى وهذا هو المراد من الآية بعد .

ووجه بعضهم مدخلية الإعجاز بأنه لا يتم الالزام إلا بالعلم

---

(١) الأنعام / ١٠٩ .

بثبوت المنزل من عند الله تعالى ، وهو يتوقف على الإعجاز ، بحيث يستغنى عن آية أخرى دالة على صدق دعواه صلى الله عليه وسلم أنه من عند الله ، لكن قال : إن فى دلالة النظم الكريم على ذلك خفاء إلا أن يقال : الجملة الإسمية الحالية تفيده ، لما فيها من الدلالة على ثبوته وتقرره فى نفسه .

أو يجعل الكتاب بمعنى المعهود إعجازه - وذكر أن هذا من عدم تدبير الآية ، إذ المعنى لا ينفى حكما فى شانى وشان غيرى إلا الله سبحانه الذى نزل الكتاب لذلك ، وهو انما يحكم له صلى الله عليه وسلم بصدق مدعاه بالإعجاز ، فإنهم لما طعنوا فى نبوته عليه الصلاة والسلام ، واقسموا إن جاءتهم آية آمنوا ، بين سبحانه وتعالى أنهم مطبوع على قلوبهم ، وامره أن يوبخهم وينكر عليهم بقوله تعالى « أفغير الله » الخ . أى أازيغ عن الطريق السوى فاخص غيره بالحكم وهو الذى أنزل هذا الكتاب المعجز الذى افحمكم والزمكم الحجة ، فكفى به سبحانه حاكما بينى وبينكم بإنزال هذا الكتاب المفصل بالآيات البينات من التوحيد والنبوة ، وغيرهما فى الذى اعجزكم عن آخركم ، ويؤول هذا إلى أنه صلى الله عليه وسلم أجابهم بالقول الموجب ، لأنهم طعنوا فى معجزاته فكبتهم على أحسن وجه ، وضم إليه علم أهل الكتاب (١) .

وعلى هذا فكونه معجزا مأخوذ من كونه مغنيا عما عداه فى شانه ، وشان غيره على ما اشير إليه .

وجملة القول فى ذلك ، أنه تعالى لما حكى عن الكفار أنهم اقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، أجاب عنه بأنه لا فائدة فى اظهار تلك الآيات لأنه تعالى لو اظهرها لبقوا مصرين على كفرهم ، ثم أنه تعالى بين فى هذه

---

(١) روح المعانى للألوسى جـ ٨ / ٥ من المجلد الثالث .

الآية - « أفغير الله أبتغي حكما (١) وهو الذي أنزل الكتاب مفصلا » (٢) - إن الدليل الدال على نبوته قد حصل وكمل ، فكان ما يطلبونه طلبا للزيادة ، وذلك مما لا يجب الالتفات إليه ، وإنما قلنا أن الدليل الدال على نبوته قد حصل لوجهين :

الأول : إن الله قد حكم بنبوته من حيث أنه أنزل عليه الكتاب المفصل المبين المشتمل على العلوم الكثيرة والفصاحة الكاملة ، وقد عجز الخلق عن معارضته ، فظهور مثل هذا المعجز عليه يدل على أنه تعالى قد حكم بنبوته فقوله : « أفغير الله أبتغي حكما » يعني قل يا محمد صلوات الله وسلامه عليه - أنكم تتحكمون في طلب سائر المعجزات ، فهل يجوز في العقل أن يطلب غير الله حكما ؟ فإن كل أحد يقول : ان الله غير جائز ثم قل أنه تعالى حكم بصحة نبوتي حيث خصني بمثل هذا الكتاب المفصل البالغ إلى حد الإعجاز .

الوجه الثاني : من الأمور الدالة على نبوته : اشتمال التوراة والإنجيل على الآيات الدالة على أن محمد صلى الله عليه وسلم رسول حق ، وعلى أن القرآن كتاب حق من عند الله تعالى ، وهو المراد من قوله : « والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق » .

---

(١) الحكم والحاكم واحد عند أهل اللغة ، غير أن بعض أهل التأويل قال : الحكم أكمل من الحاكم ، لأن الحاكم كل من يحكم ، وأما الحكم فهو الذي لا يحكم إلا بالحق والمعنى أنه تعالى حكم حق لا يحكم إلا بالحق ، فلما أظهر المعجز الواحد وهو القرآن فقد حكم بصحة هذه النبوة ، ولا مرتبة حكمه ، فوجب القطع بصحة هذه النبوة .

(٢) الأنعام / ١١٤ .

(ا) الكتاب المتلو :

قال الله جل ثناؤه : « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور » (١) أى يداومون على قراءته حتى صارت سمة لهم وعنوانا ، كما يشعر به صيغة المضارع ، ووقوعه صلة واختلاف الفعليه .

والمراد بكتاب الله القرآن فقد قال مطرف بن عبد الله بن الشخير : هذه آية القراء . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت فى خصين بن الحرث بن عبد المطلب القرشي ، ثم إن العبرة بعموم اللفظ فلذا قال السدى فى التالين : هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عطاء : هم المؤمنون ، أى عامة ، وهو الأرجح ، ويدخل الأصحاب دخلوا لا أوليا (٢) .

روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : قال رجل : يا رسول الله أى الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : الحال المرتحل . قال : وما الحال المرتحل ؟ قال : الذى يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل (٣) .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الرب تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين (٤) .

---

(١) فاطر / ٢٩ .

(٢) روح المعانى للألوسى ج ٢٢ / ١٩٢ .

(٣) الترمذى فى القراءات باب رقم ٤ حديث رقم ٢٩٤٩ ، وإسناده ضعيف .

(٤) الترمذى فى ثواب قراءة القرآن باب رقم ٢٥ وقال : هذا حديث حسن غريب ولعله حسنه ببعض الشواهد ، الدارس ج ٢ / ٤٤٦ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويتمتع فيه وهو عليه شاق له أجران" (١) .

وقيل معنى « يتلون كتاب الله » يتبعونه فيعملون بما فيه - وكأنه جعل يتلو من تلاه إذا اتبعه - أو حمل التلاوة المعروفة على العمل ، لأنها ليس فيها كثير نفع دونه ، وقد ورد « رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه » .

والذى تطمئن إليه النفس هو المعنى الأول ، لأن الله تعالى لما ذكر الخشية وهى عمل القلب ذكر بعدها عمل اللسان والجوارح والعبادة المالية .

وجوز أن يراد بكتاب الله تعالى جنس كتبه عز وجل الصادق على التوراة والإنجيل وغيرهما ، فيكون ثناء على المصدقين من الأمم بعد اقتصاص حال المكذبين بقوله تعالى : « وان يكذبوك » (٢) الخ . والمضارع لحكاية الحال الماضية ، والمقصود من الثناء عليهم وبيان مالهم حث هذه الأمة على إتباعهم وان يفعلوا نحو ما فعلوا (٣) . والوجه الأول أوجه كما لا يخفى ، وعليه الجمهور .

---

(١) البخارى فى تفسير سورة عبس ج ٨ / ٥٣٢ ، مسلم فى صلاة المسافرين باب فضل الماهر بالقرآن والذى يتتعتع فيه حديث رقم ٧٩٨ ، أبو داود فى الصلاة ، باب فى ثواب قراءة القرآن رقم ١٤٥٤ ، الترمذى فى ثواب القرآن باب ما جاء من فضل قارئ القرآن رقم ٢٩٠٦ . والماهر : الحاذق بالشيء العارف به . السفرة : جمع سافر وهو الكاتب والمراد بهم الملائكة الحفظة . البررة : جمع بار وهو الصادق وهم الملائكة .

(٢) فاطر / ٢٥ .

(٣) روح المعاني للآلوسي ج ٢٢ / ١٩٣ من المجلد الثامن .

(٣) الكتاب الحكيم :

قال الله تعالى ذكره : (آلر تلك آيات الكتاب الحكيم) (١) .

قال الطبرى : والكتاب اسم من أسماء القرآن ، وهذا التأويل أولى بالصواب ، لأنه لم يجر للتوراة والإنجيل قبل ذكره ، ولا تلاوة بعده فيوجه إليه الخبر ، فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام هذه آيات القرآن الحكيم (٢) .

وفي وصف الكتاب بكونه حكيما وجوه :

الأول : أن الحكيم هو ذو الحكمة بمعنى اشتمال الكتاب على الحكمة .

الثاني : أن يكون المراد وصف الكلام بصفة من تكلم به . قال الأعشى :

وغريبة تأتي الملوك حكيمة * قد قلتها ليقال من ذا قالها

الثالث : قال الأكثرون : (الحكيم) بمعنى الحاكم ، فعيل بمعنى فاعل ، دليلة قوله تعالى : (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس) (٣) فالقرآن كالحاكم في الاعتقادات لتمييز حقها عن باطلها ، وفي الأفعال لتمييز صوابها عن خطئها ، وكالحاكم على أن محمدا صادق في دعوى النبوة ، لأن المعجزة الكبرى لرسولنا صلى الله عليه وسلم ، ليست إلا القرآن .

الرابع : أن الحكيم بمعنى المحكم ، والإحكام معناه المنع من الفساد ، فيكون المراد منه أنه لا يمحوه الماء ولا

---

(١) يونس / ١ .
(٢) تفسير الطبرى ج ١١ / ٥٨ .
(٣) البقرة / ٢١٣ .

تحرقه النار ولا تغيره الدهور أو المراد منه براءته عن الكذب والتناقض .

الخامس : وصف الكتاب الحكيم ، لأنه تعالى حكم فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وحكم فيه بالجنة لمن أطاعه وبالنار لمن عصاه ، فعلى هذا « الحكيم » يكون معناه المحكوم فيه .

السادس : أن « الحكيم » فى أصل اللغة ، عبارة عن الذى يفعل الحكمة والصواب ، فمن حيث أنه يدل على هذه المعانى صار كأنه هو الحكيم فى نفسه (١) .

(١٣) المهيمن :

قال الله تعالى ذكره : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » (٢) وسمي بذلك لأنه الشاهد للكتب المتقدمة بأنها من عند الله ، يقول الرازى « إنما كان القرآن مهيمنا على الكتب لأنه الكتاب الذى لا يصير منسوخا البتة ، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف متى ما قال الله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (٣) وإذا كان كذلك كانت شهادة القرآن على أن التوراة والإنجيل والزبور حق صدق باقية أبدا ، فكانت حقيقة هذه الكتب معلومة أبدا (٤) .

وفى المهيمن قولان :

---

(١) التفسير الكبير للرازى ج ١٧ / ٥ والطبرى ج ١١ / ٥٨ .
(٢) المائدة / ٤٨ . (٣) الحجر / ٩ .
(٤) التفسير الكبير للرازى ج١٢ / ١٢ - ١ من المجلدالسادس .

الأول : قال الخليل وأبو عبيدة يقال قد هيمن الرجل يهيمن إذا كان رقيبا على الشيء وشاهدا عليه حافظا قال حسان :

إن الكتاب مهيمن لتبينا * والحق يعرفه ذوو الألباب

والثاني : قالوا الأصل في قولنا ، أمن يؤمن فهو مؤمن ، أامن يؤمن فهو يؤامن بهمزتين ، ثم قلبت الأولى هاء كما في : حرقت وارقت وهياك وأياك » وقلبت الثانية ياء فصار مهيمنا ، فلهذا قال المفسرون « ومهيمنا عليه » أي أمينا على الكتب التي قبله (1) .

وقال صاحب الكشاف : قرئ « ومهيمنا عليه » بفتح الميم : أي هيمن عليه بأن حفظ من التغيير والتبديل ، كما قال : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » (2) والذي هيمن عليه الله عز وجل ، أو الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه ، أو حركة أو سكون لتنبه عليه كل أحد ولا شمازوا رادين ومنكرين (3) .

(14) الكتاب المسطور :

قال الله تعالى « وكتاب مسطور » (4) أي مكتوب ، يعني القرآن يقرؤه المؤمنون من المصاحف ، ويقرؤه الملائكة في اللوح المحفوظ كما قال تعالى « إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون » (5) .

---

(1) التفسير الكبير للرازي ج 12 / 13 .
(2) فصلت / 42 .
(3) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري ج 1 / 618 .
(4) الطور / 2 .
(5) الواقعة / 77 - 78 .

وقيل : يعنى سائر الكتب المنزلة على الأنبياء ، وكان كل كتاب فى رق ينشره أهله لقراءته .

وقال الكلبى : هو ما كتب الله لموسى بيده من التوراة وموسى - عليه السلام - يسمع صرير القلم .

وقال الفراء : هو صحائف الأعمال ، فمن أخذ كتابه بيمينه ، ومن أخذ كتابه بشماله ، نظيره قوله تعالى « ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا » (١) وقوله عز شأنه « وإذا الصحف نشرت » (٢) .

وقيل أنه الكتاب الذى كتبه الله لملائكته فى السماء يقرءون فيه ما كان وما يكون (٣) .

« ١٥ » لم يجعل له عوجا قيما :

وصف المولى عز وجل الكتاب بوصفين فقال عز شأنه : « ولم يجعل له عوجا قيما » (٤) أى شيئا من العوج باختلال اللفظ من جهة الإعراب ، ومخالفة الفصاحة وتناقض المعنى ، وكونه مشتملا على ما ليس بحق ، أو داعيا لغير الله تعالى (٥) .

والعوج بالكسر فى المعانى ، وبالفتح فى الأعيان ، كذا قيل ، يرد عليه قوله سبحانه : « لا ترى فيها عوجا ولا أمتا » يعنى الجبال ، وهى من الأعيان .

---

(١) الإسراء / ١٣ . (٢) التكوير / ١٠ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٧ / ٥٩ .
(٤) الكهف / ١
(٥) روح المعانى للألوسى ج ١٥ / ٢٠٠ .

قال الزجاج : المعنى فى الآية لم يجعل فيها اختلافا ، كما قال : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (١) ، (٢) .

وعلى هذا فإن قوله جل شناؤه : « ولم يجعل له عوجا قيما » إشارة على كونه كاملا فى ذاته . والمراد منه وجوه (٣) .

أحدها : نفى التناقض عن آياته ، كما قال عز سشانه « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (٤) .

وثانيها : أن كل ما ذكر الله من التوحيد والنبوة والأحكام والتكاليف فهو حق وصدق لا خلل فى شيء منها البتة .

وثالثها : أن الإنسان كأنه خرج من عالم الغيب متوجها إلى عالم الآخرة وإلى حضرة جلال الله ، وهذه الدنيا كأنها رباط بنى على طريق عالم القيامة حتى أن المسافر إذا نزل فيه اشتغل بالمهمات التى يجب رعايتها فى هذا السفر ، ثم يرتحل منه متوجها إلى عالم الآخرة فكل ما دعاه فى الدنيا إلى الآخرة ، ومن الجسمانيات إلى الروحنيات ، ومن الخلق إلى الحق ومن اللذات الشهوانية الجسدانية إلى الاستنارة بالأنوار الصمدانية فثبت أنه مبرأ عن العوج

---

(١) النساء / ٨٢ .
(٢) فتح القدير للشوكانى ج ٣ / ٢٦٩ .
(٣) التفسير الكبير للرازى ج ٢١ / ٧٦ من المجلد الحادى عشر
(٤) النساء / ٨٢ .

والانحراف والباطل ، فلهذا قال الله تعالى : « ولم يجعل له عوجا » .

والصفة الثانية للكتاب ، هي قوله تعالى « قيما » إشارة إلى كونه مكملا لغيره بها ، لأن القيم عبارة عن القائم بمصالح الغير ، ونظيره قوله تعالى ، في أول سورة البقرة في صفة الكتاب : « لا ريب فيه هدى للمتقين » (١) ، فقوله « لا ريب فيه » إشارة إلى كونه في نفسه بالغا في الصحة وعدم الاخلال إلى حيث يجب على العاقل ان لا يرتاب فيه . وقوله « هدى للمتقين » إشارة إلى كونه سببا لهداية الخلق واكمال حالهم ، فقوله « ولم يجعل له عوجا » قائم مقام قوله « لا ريب فيه » وقوله « قيما » قائم مقام قوله « هدى للمتقين » (٢)

وعلى هذا فإن المراد من كونه « قيما » انه سببا لهداية الخلق وانه يجري مجرى من يكون قيما للأطفال ، فالأرواح البشرية كالأطفال ، والقرآن كالقيم الشفيق القائم بمصالحهم فالقيم القائم بمصالح العباد الدينية والدنيوية .

وقيل القيم على ما قبله من الكتب السماوية مهيمنا عليها .

أو اقيم المستقيم الذي لا ميل فيه (٣) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد مستقيما (٤) .

وعلى هذا يكون تاكيدا لما دل عليه نفس العوج ، فرب

---

(١) البقرة / ٢ .

(٢) التفسير الكبير للرازي ج ٢١ / ٧٥ - ٧٦ من المجلد الحادي عشر .

(٣) فتح القدير للشوكاني ج ٣ / ٢٦٩ .

(٤) التفسير الكبير للرازي ج ٢١ / ٧٦ .

مستقيم فى الظاهر لا يخلو من أدنى عوج فى الحقيقة (١) .

وانتقد الرازى تفسير القيم بالمستقيم حيث يقول : وهذا عندى مشكل لأنه لا معنى لنفى الاعواج إلا حصول الاستقامة فتفسير القيم بالمستقيم يوجب التكرار وانه باطل . والحق ما ذكرناه وان المراد من كونه « قيما » انه سبب لهداية الخلق . لأن القرآن كالقيم الشفيق القائم بمصالحهم (٢) .

قال الواحدى : جميع اهل اللغة والتفسير قالوا هذا من التقديم والتاخير والتقدير انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا .

وهذا الراى فاسد . لأن قوله « ولم يجعل له عوجا » يدل على كونه كاملا فى ذاته . قوله « قيما » يدل على كونه مكملا لغيره ، وكونه كاملا فى ذاته متقدم بالطبع على كونه مكملا لغيره . فثبت بالبرهان العقلى ان الترتيب الصحيح هو الذى ذكره الله تعالى وهو قوله « ولم يجعل له عوجا قيما » فظهر ان ما ذكروه من التقديم والتاخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب إليه (٣) .

(١٧) كتاب الله :

قال الله تعالى : « إن الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور » (٤) اى يداومون على قراءته حتى صارت سمة لهم وعنوانا ، كما يشعر به صيغة المضارع - « يتلون » -

---

(١) فتح القدير للشوكانى ج ٣ / ٢٦٩ .
(٢) التفسير الكبير للرازى ج ٢ / ٧٦ .
(٣) السابق : التفسير الكبير للرازى ج ٢١ / ٧٦ .
(٤) فاطر / ٢٩ .

ووقوعه صلة ، واختلاف الفعلين ، بكتاب الله القرآن ، فقد قال مطرف بن عبد الله بن الشخير ، هذه آية القراء (١) .

وقيل معنى « يتلون كتاب الله » يتبعونه فيعملون بما فيه ، وكانه جعل يتلو من تلاه إذا تبعه ، أو حمل التلاوة المعروفة على العمل ، لأنها ليس فيها كثير نفع بدونه وقد ورد « رب قاريء للقرآن والقرآن يلعنه » .

والوجه الأول أوجه كما لا يخفى ، وعليه الجمهور (٢) .

والذى نخلص إليه أن هذه الآية الكريمة هى آية القراء العاملين الذين يقيمون الصلاة الفرض والنفل . فقوله : « إن الذين يتلون » إشارة إلى عمل اللسان . وقوله : « وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم » إشارة إلى عمل الجوارح ، ثم إن هذه الأشياء الثلاثة متعلقة بجانب تعظيم الله عز وجل ، والشفقة على خلقه .

---

(١) روح المعانى للألوسى ج ٢٢ / ١٩٣ من المجلد الثامن .

(٢) روح المعانى ج ٢٢ / ١٩٣ .

٣ - الفرقان :

قال الله جل ثناؤه : « وانزل الفرقان » (١) . ولجمهور المفسرين فيه اقوال : -

الاول : ان المراد هو القرآن . وانما اعاده تعظيما لشانه ومدحا بكونه فارقا بين الحق والباطل . او يقال : انه تعالى اعاد ذكره ليبين انه انزله بعد التوراة والإنجيل ليجعله فرقا بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى من الحق والباطل ، وعلى هذا التقدير فلا تكرار .

الثاني : ان المراد هو الزبور ، كما قال : « وآتينا داود زبورا » (٢) .

الثالث : ان المراد به جميع الكتب السماوية ، لأن الله تعالى كما جعل الكتب الثلاثة هدى ودلالة ، فقد جعلها فارقا بين الحلال والحرام وسائر الشرائع فصار هذا الكلام دالا على أن الله تعالى بين بهذه ما يلزم عقلا وسمعا (٣) .

قال الرازى وهو عندى مشكل اما حمله على القرآن فبعيد من حيث ان قوله : « وانزل الفرقان » عطف على ما قبله ، والمعطوف مغاير للمعطوف عليه ، والقرآن مذكور قبل هذا ، فهذا يقتضى أن يكون هذا الفرقان مغايرا للقرآن ، وبهذا القول يظهر ضعف القول الثالث ، لأن كون هذه الكتب فارقة بين الحق والباطل صفة لهذه الكتب وعطف الصفة على الموصوف وإن كان قد ورد في بعض الأشعار النادرة إلا انه ضعيف بعيد عن وجه الفصاحة اللائقة بكلام الله تعالى .

---

(١) آل عمران جزء من الآية رقم ٤ . (٢) النساء / ١٦٣ .

(٣) التفسير الكبير للرازى ج ٧ / ١٧٤ من المجلد الرابع ، والكشاف ج ١ / ٤١١ .

وأما القول الثاني وهو حمله على الزبور فهو بعيد ، لأن الزبور ليس فيه شيء من الشرائع والأحكام ، بل ليس فيه إلا المواعظ ، يوصف التوراة والإنجيل مع اشتمالها على الدلائل وبيان الأحكام بالفرقان أولى من وصف الزبور بذلك .
والمختار عندي في تفسير هذه الآية وجة رابع ، وهو أن المراد من هذا الفرقان المعجزات التي قرنها الله تعالى بإنزال هذه الكتب ، وذلك ، لأنهم لما أتوا بهذه الكتب وادعوا أنها كتب نازلة عليهم من عند الله افتقروا إلى إثبات هذه الدعوة إلى دليل حتى يحصل الفرق بين دعواهم وبين دعوى الكذابين ، فلما أظهر الله تعالى على وفق دعواهم تلك المعجزات حصلت المفارقة بين دعوى الصادق وبين دعوى الكاذب فالمعجزة هي الفرقان فلما ذكر الله تعالى أنه أنزل الكتاب بالحق ، وأنه أنزل التوراة والإنجيل من قبل ذلك بين أنه تعالى أنزل معها ما هو الفرقان الحق ، وهو المعجز القاهر الذي يدل على صحتها ويفيد الفرق بينها وبين سائر الكتب المختلفة (١) .

وكان مجاهد يقول في قوله تعالى (يوم الفرقان) (٢) يوم فرق الله فيه بين الحق والباطل .

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول ، (الفرقان) المخرج .
وعن عكرمه أنه كان يقول ، هو النجاة (٣) .

يقول الطبري ، وكل هذه التاويلات في معنى (الفرقان) على اختلاف ألفاظها - متقاربات المعاني - وذلك أن من جعل له مخرج من أمر كان فيه فقد جعل له ذلك المخرج نجاة ،

---

(١) التفسير الكبير للرازي ج ٧ / ١٧٤ .
(٢) الأنفال ، ٤١ .
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١ / ٩٨ .

وكذلك إذا نجى منه ، فقد نصر على من بغاة فيه سواءا وفرق بينه وبين باغية السوء ، فجميع ما روينا - عمن روينا عنه في معنى « الفرقان » قول صحيح المعانى لاتفاق معانى ألفاظهم في ذلك .

وأصل الفرقان عندنا الفرق بين الشيئين والفصل بينهما . وقد يكون ذلك بقضاء واستنقاذ ، وإظهار حجة ونصر ، وغير ذلك من المعانى المفرقة بين المحق والمبطل . فقد تبين بذلك ان القرآن سمى فرقانا ، لفصله بحججه وادلته وحدود فرائضه وسائر معانى حكمه - بين المحق والمبطل وفرقانه بينهما ، بنصره المحق ، وتخذيله المبطل حكما وقضاء «١» .

مما سبق يتبين لنا ان الفرقان هو القرآن ، قال الله تعالى « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » «٢» وقد وصف بذلك من حيث أنه سبحانه فرق بين الحق والباطل في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبين الحلال والحرام ، أو لأنه فرق في النزول ، كما قال : « وقرانا فرقنا لتقراه على الناس على مكث » «٣» . وهذا التاويل أقرب لأنه قال : « نزل الفرقان » ولفظة « نزل » تدل على التفريق . واما لفظة « انزل » فتدل على الجمع ، ولذلك قال في سورة آل عمران « نزل عليك الكتاب بالحق وانزل التوراة والإنجيل » .

٤ - الذكر :

قال الله جل ثناؤه في تسميته إياه به « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » «٤» ووجه تسميته بذلك ما فيه من

---

(١) جامع البيان من تأويل آى القرآن ج ١ / ٩٨ .
(٢) الفرقان / ١ . (٣) الإسراء / ١٠٦ .
(٤) الحجر / ٩ .

المواعظ والتحذير واخبار الأمم الماضية وهو مصدر ذكرت ذكرا ، والذكر الشرف . قال الله تعالى : « وإنه لذكر لك ولقومك » (١) وقال عز شانه : « لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم » (٢) وقال جل ثناؤه « وهذا ذكر مبارك إنزلناه » (٣) .

وعندما سمع أهل مكة النبى صلى الله عليه وسلم يقول : "إن الله تعالى نزل الذكر على" فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم " يا أيها الذى نزل عليه الذكر (٤) ثم أنه تعالى حقق قوله فى هذه الآية فقال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » والضمير فى قوله « له لحافظون » إلى ماذا يعود ؟ .

فيه قولان :

القول الأول :

إنه عائد إلى الذكر يعنى : وإنا نحفظ ذلك الذكر من التحريف والزيادة والنقصان ، ونظيره قوله تعالى فى صفة القرآن : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » (٥) وقال : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (٦) .

---

(١) الزخرف / ٤٤ .
(٢) الأنبياء / ١٠
(٣) الأنبياء / ٥٠ .
(٤) الحجر / ٦ .
(٥) فصلت / ٤٢ .
(٦) النساء / ٨٢ .

وفى هذه الآية دلالة قوية على كون التسمية آية من أول كل سورة ، لأن الله تعالى قد وعد بحفظ القرآن ، والحفظ لا معنى له إلا أن يبقى مصونا من الزيادة والنقصان ، ولو جاز أن يظن بالصحابة أنهم زادوا لجاز أيضا أن يظن بهم النقصان ، وذلك يوجب خروج القرآن عن كونه حجة .

وأورد على ذلك قول بعضهم ، لم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن في المصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه ، وما حفظه الله فلا خوف عليه .

وأجيب عن ذلك بأن جمعهم للقرآن كان من أسباب حفظ الله تعالى إياه ، وأنه تعالى قيضهم لذلك .

والقول الثاني :

أن الكناية في قوله « له » راجعة إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، والمعنى وإنا لمحمد لحافظون ، وهو قول الفراء . وقوى ابن الأنبارى هذا القول فقال ، لما ذكر الله الإنزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه فحسنت الكناية عنه ، لكونه أمرا معلوما كما في قوله تعالى « إنا أنزلناه في ليلة القدر » (١) فإن هذه الكنية عائدة إلى القرآن مع أنه لم يتقدم ذكره ، وإنما حسنت الكناية للسبب المعلوم فكذا هاهنا (٢) .

وقيل إن المعنى ، « وإنا له لحافظون » أى لمحمد صلى الله عليه وسلم من أن يتقول علينا أو نتقول عليه . أو « وإنا له لحافظون » من أن يكاد أو يقتل ، نظيره « والله يعصمك من الناس » (٣) ، (٤) وفي ضمن هذه الآية التبشير بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظهر الله به الدين (٥) .

---

(١) القدر / ١ .

(٢) التفسير الكبير للرازى ج ١٩ / ١٦٤ من المجلد العاشر وتفسير القرآن العظيم ج ٢ / ٥٤٧ .

(٣) المائدة / ٦٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٠ / ٦ .

(٥) البحر المحيط ج ٥ / ٤٤٧ .

والذى يبدو لى أن الرأى الراجح هو الأول لمشابهته لظاهر التنزيل يقول ابن كثير : « قرر الله تعالى أنه هو الذى أنزل عليه الذكر وهو القرآن وهو الحافظ له من التغيير والتبديل ومنهم من أعاد الضمير فى قوله « له لحافظون » على النبى صلى الله عليه وسلم كقوله « والله يعصمك من الناس » والمعنى الأول أولى وهو ظاهر السياق » (١) لأن الله عز وجل قد تكفل بحفظه فى كل وقت فلا تعتريه زيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا تبديل ، بخلاف غيره من الكتب المتقدمة فإنه تعالى لم يتكفل بحفظها بل قال تعالى « بما استحفظوا من كتاب الله » (٢) فجعل حفظه إليهم ، وقال عز وجل « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » فحفظه الله عز وجل علينا فلم يضع ، وحفظه إياه دليل على أنه من عند الله تعالى إذ لو كان من قول البشر لتطرق إليه ما تطرق لكلام البشر .

يقول الطبرى : أما تأويل اسمه الذى هو « ذكر » ، فإنه محتمل معنيين :

أحدهما : أنه ذكر من الله جل ذكره ، ذكر به عباده فعرفهم فيه حدوده ، وفرائضه وسائر ما أودعه من حكمه .

والآخر : أنه ذكر وشرف وفخر لمن آمن به وصدق بما فيه ، كما قال الله تعالى « وإنه لذكر لك ولقومك » (٣) يعنى أنه شرف له ولقومه (٤) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ / ٥٤٧ .
(٢) المائدة / ٤٤ .
(٣) الزخرف / ٤٤ .
(٤) جامع البيان للطبرى ج ١ / ٩٩ .

وفي وصف القرآن بكونه ذكرا حكيما - والذكر الحكيم (١) - وجوه :
الأول : إنه بمعنى الحاكم مثل القدير والعليم ، والقرآن حاكم بمعنى أن الأحكام تستفاد منه .

والثاني : معناه ذو الحكمة في تأليفه ونظمه وكثرة علومه .

والثالث : انه بمعنى المحكم فعيل بمعنى مفعل ، قال الأزهري هو شائع في اللغة ، لأن حكمت يجرى مجرى احكمت في المعنى ، فرد إلى الأصل ومعنى المحكم في القرآن انه احكم عن تطرق وجوه الخلل إليه قال تعالى : « واحكمت آياته » (٢) .

والرابع : أن يقال القرآن لكثرة حكمه انه ينطق بالحكمة فوصف بكونه حكيما على هذا التأويل (٣) .

وقد وردت على تسعة عشر وجها :
١ - ذكر اللسان . قال تعالى : « فاذكروا الله كذكركم آباءكم » (٤) .
٢ - ذكر القلب . قال عز شانه « ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » (٥) .
٣ - الحفظ . قال جل ثناؤه « واذكروا ما فيه » (٦) .
٤ - الطاعة والجزاء . قال الله تعالى « فاذكروني أذكركم » (٧) .
٥ - الصلوات الخمس . قال جل ثناؤه : « فإذا أمنتم فاذكروا الله » (٨) .

---

(١) آل عمران / ٥٨ . (٢) هود / ١ .
(٣) التفسير الكبير للرازي ج ٨ / ٨٢ من المجلد الرابع .
(٤) البقرة / ٢٠٠ . (٥) آل عمران / ١٣٥ .
(٦) البقرة / ٦٣ . (٧) البقرة / ١٥٢ .
(٨) البقرة / ٢٣٩ .

٦ - العظة . قال الله تعالى ذكره : « فلما نسوا ما ذكروا به » (١) .
٧ - البيان . قال عز شانه « اوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم » (٢) .
٨ - الحديث . قال الله جل ثناؤه « أذكرني عند ربك » (٣) .
٩ - التوراة . قال تعالى « فاسألوا أهل الذكر » (٤) .
١٠ - الخبر . قال عز شانه « سأتلوا عليكم منه ذكرا » (٥) .
١١ - العيب . قال الله تعالى « أهذا الذى يذكر آلهتكم » (٦)
١٢ - اللوح المحفوظ . قال الله جل ثناؤه « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر » (٧) .
١٣ - الشرف . قال الله تعالى « وانه لذكر لك ولقومك » (٨) .
١٤ - الثناء . قال الله جل ثناؤه « وذكروا الله كثيرا » (٩) .
١٥ - الوحى . قال تعالى « فالتاليات ذكرا » (١٠) والمراد الملائكة تتلوا كتاب الله .
١٦ - الرسول . قال عز وجل « ذكرا رسولا » (١١) .
١٧ - الصلاة . قال تعالى « ولذكر الله أكبر » (١٢) .
١٨ - صلاة الجمعة . قال جل ثناؤه « فاسعوا إلى ذكر الله » (١٣) .
١٩ - صلاة العصر . قال تعالى « عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب » (١٤) .

---

(١) الأنعام / ٤٤ .
(٢) الأعراف / ٦٣ ، ٦٩ .
(٣) يوسف / ٤٢ .
(٤) الأنبياء / ٧ .
(٥) الكهف / ٨٣ .
(٦) الأنبياء / ١٠٥ .
(٧) الأنبياء / ١٠٥ .
(٨) الزخرف / ٤٤ .
(٩) الشعراء / ٢٢٧ .
(١٠) الصافات / ٣ .
(١١) الطلاق / ١٠ .
(١٢) العنكبوت / ٤٥ .
(١٣) الجمعة / ٩ .
(١٤) ص / ٣٢ .

القسم الثاني

أسماء أخرى للقرآن في البيان القرآني

اسماء أخرى للقرآن في البيان القرآني :

ذهب بعض العلماء الى القول بأن الله جل ثناؤه سمى كتابه بأسماء أخرى ، حيث قال القاضي أبو المعالي عزيز بن عبدالملك رحمه الله : "اعلم أن الله تعالى سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما " (١) وجعل بعض العلماء تلك الأسماء صفات للقرآن الكريم ، والذى يبدو لي أن كل تسمية أو وصف فانما هو باعتبار معنى من معاني القرآن الكريم ومن تلك الأسماء :

كلام الله ، النور ، البرهان ، البلاغ ، الامام المبين ، الروح ، البشرى ، البشير والنذير ، الهدى ، الهادى ، الشفاء ، التنزيل ، البينة ، البيان ، التبيان لكل شيء ، الفصل ، القول الثقيل ، حبل الله ، الحجة البالغة ، الرسالة ، الآيات البينات ، اللسان العربي ، آيات الله ، أحسن الحديث ، الموعظة ، الحق ، الحكم ، حكمة بالغة ، الصدق ، البصائر ، التبصرة ، التصديق المنزل ، البينة ، النبأ ، الوحى ، التذكرة ، التفسير ، العلى ، العلم ، فضل الله ، القسط ، القصص الحق ، كتاب الله ، كلمة الله ، المثبت ، منادى الايمان ، النعمة ، الخير ، الصراط المستقيم ، العروة الوثقى ، الامام ، النجوم ، الكوثر ، الماء ، المقروء ، المرتل ، الصحف المكرمة ، الصحف المطهرة ، العدل ، أمر الله ، الاثارة ، الزبور .

وهذا ماسنبينه إن شاء الله تعالى : -

---

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج ١ / ٢٧٣ وبصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز تحقيق محمد على النجار – المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ج ١ / ٦٣ طبعة سنة ١٣٨٣ هـ والاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ج٢ / ٥١ – ٥٢ .

أ - كلام الله :

قال الله تعالى « وان أحد (١) من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه ذلك بأنهم قوم لايعلمون » (٢) أى وان استامنك يامحمد صلى الله عليه وسلم من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم أحد ليسمع كلام الله منك وهو القرآن الذى أنزله الله عليه ، يقول : فأمنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه ، ثم ابلغه مامنه . (٣)

نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : إن رجلا من المشركن قال لعلى بن ابى طالب إن اردنا ان نأتى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء هذا الأجل لسماع كلام الله ، أو لحاجة أخرى فهل تقبل ؟ فقال على : لا ، ان الله تعالى قال : « وان أحد من المشركين استجارك فاجره » أى فأمنه

---

(١) (وان أحد) مرفوع باضمار فعل كالذى بعده أى مرتفع بفعل مضمر مفسره الظاهر بعده وتقديره : وان استجارك أحد . ولايجوز أن يرتفع بالابتداء ، لأن (ان) من عوامل الفعل لايدخل على غيره .

(التفسير الكبير للرازى ج ١٥ / ٣٥) .

وهذا حسن فى (ان) وقبيح فى أخواتها . ومذهب سيبويه فى الفرق بين (ان) واخواتها : انها لما كانت أم حروف الشرط خصت بهذا ، ولأنها لا تكون فى غيره .

وقال محمد بن يزيد : اما قوله (لأنها لا تكون فى غيره) فغلط ، لأنها تكون بمعنى (ما) ومخففة من الثقيلة ولكنها مبهمة ، وليس كذا غيرها . وأنشد سيبويه :

لاتجزعى إن منفسا أهلكته * وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعى

القرطبى ج ٨ / ٧٧ .

(٢) التوبة / ٦ .

(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ١ / ٥٧ .

حتى يسمع كلام الله ، وتقرير هذا الكلام أن تقول : انه تعالى لما أوجب بعد انسلاخ الأشهر الحرم قتل المشركين دل ذلك على أن حجة الله تعالى قد قامت عليهم وأن ماذكره الرسول قبل ذلك من أنواع الدلائل والبينات كفى فى ازاحة عذرهم فقال على : لا ، إن الله تعالى قال : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره » أى فأمنه حتى يسمع كلام الله ، وتقرير هذا الكلام أن تقول : إنه تعالى لما أوجب بعد انسلاخ الأشهر الحرم قتل المشركين دل ذلك على ان حجة الله تعالى قد قامت عليهم وان ما ذكره الرسول قبل ذلك من أنواع الدلائل والبينات كفى فى إزاحة عذرهم وعلتهم ، وذلك يقتضى ان احدا من المشركين لو طلب الدليل والحجة لا يلتفت الله ، بل يطالب إما بالإسلام وإما بالقتل ، فلما كان هذا الكلام واقعا فى القلب لا جرم ذكر الله تعالى هذه الآية إزالة لهذه الشبهة ، مقصود منه بيان أن الكافر إذا جاء طالبا الحجة والدليل أو جاء طالبا لاستماع القرآن ، فإنه يجب إمهاله ويحرم قتله ويجب إيصاله إلى مأمنه .

وهذا يدل على أن المقصود من شرع القتل قبولا الدين والإقرار بالتوحيد ويدل أيضا على أن النظر فى دين الله أعلى المقامات وأعلى الدرجات ، فإن الكافر الذى صار دمه مهدرا كما أظهر من نفسه كونه طالبا للنظر والاستدلال زال ذلك الإهدار ، ووجب على الرسول أن يبلغه مأمنه (١) . والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة إلى شىء آخر فى الفهم لكونهم من أهل اللسن والفصاحة (٢) .

وقوله عز وجل « حتى يسمع كلام الله » دليل على أن كلام الله جل ثناؤه مسموع عند قراءة القارىء لكلامه ، ويدل عليه اجماع المسلمين على أن القارىء إذا قرأ فاتحة الكتاب أو سورة

---

(١) التفسير الكبير للرازى ج ١٥ / ٢٣٥ .

(٢) روح المعانى للألوسى ج ١٠ / ٣٥ .

قالوا ، سمعنا كلام الله (١) ولهذا كان النبي صلى الله عليه يعرض نفسه على الناس في المواسم ويقول : " الا رجل يحملني الى قومه لأبلغ كلام ربي ، فان قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي "(٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين " اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامه ومن كل عين لامة " (٣) .

وكان احمد بن حنبل رضي الله عنه يستدل بقوله " بكلمات الله التامه " على أن القرآن غير مخلوق ، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايستعيذ بمخلوق ، وما من كلام مخلوق إلا وفيه نقص ، والموصوف منه بالتمام هو غير المخلوق وهو كلام الله سبحانه (٤) .

٣ - النور :

سمي القرآن نورا في قوله تعالى : (يا أيها الناس قد

---

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج ٨ /٧٧ .

(٢) أبو داود في كتاب السنه ، باب في القرآن رقم ٤٧٣٤ .
والترمذي في ثواب القرآن باب حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ القرآن رقم ٢٩٢٦ .
وابن ماجه في المقدمة باب فيما انكرت الجهمية رقم ٢٠١ .
واحمد في المسند ج ٣ / ٣٢٢ .

(٣) البخاري في الانبياء باب حدثنا موسى بن اسماعيل ج ١٧٩/٤ .
وأبو داود في كتاب السنه باب في القرآن .
والترمذي في الطب رقم ٢٠٦١ .
وابن ماجه في الطب ٣٥٢٥ .

(٤) معالم السنن للخطابي ج ٥ / ١٠٥ .

جاءكم برهان من ربكم وانزلنا إليكم نورا مبينا » (١) . فالنور المبين هو القرآن ، وسماه نوراً لأن به تتبين الأحكام ويهتدى به من الضلالة ، فهو نور مبين ، أى واضح بين (٢) .

وعلى هذا فان اطلاق النور المبين على القرآن ، لأنه بين في نفسه مستغن في ثبوت حقيقته وكنه من الله تعالى بإعجازه غير محتاج الى غيره ، مبين لغيره من حقية الحق ، وبطلان الباطل ، مهدى للخلق باخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الإيمان

وعبر عن ملابسته للمخاطبين تارة بالمجىء بالمسند إليه المنبىء عن كمال قوته في البرهانية كأنه يجىء بنفسه فيثبت ماثبت من غير أن يجىء به أحد ويجىء على شبه الكفرة بالابطال ، والأخرى بالانزال الموقع عليه الملائم لحيثية كونه نورا توقيرا له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به ، واسناد انزاله اليه تعالى بطريق الالتفات لكمال شرفه . (٣)

وأتى هذا الاسم أيضا في قوله تعالى « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه أولئك هم المفلحون » (٤) أى اتبعوا القرآن ، وعبر عنه بالنور لظهوره في نفسه بإعجازه وإظهاره لغيره من الأحكام وصدق الدعوى ، فهو أشبه شيء بالنور الظاهر بنفسه ، والمظهر لغيره . بل هو نور على نور (٥) .

وعلى هذا فان الظرف اما متعلق بانزال ، والكلام على

---

(١) النساء م ١٧٤ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٦ /٢٧ .
(٣) روح المعانى للألوسى ج ٦/ ٤٣ من المجلد الثانى .
(٤) الاعراف / ١٥٧ .
(٥) فتح القدير للشوكانى ج ٢ / ٢٥٣ .

خوف مضاف ، اى مع نبوته ، او إرساله صلى الله عليه وسلم ، لأنه لم ينزل معه ، وانما نزل مع جبريل عليه السلام . نعم استنباؤه أو إرساله كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به واما متعلق باتبعوا على معنى ، سبقوا فى اتباعه وحينئذ لم يحتج الى تقدير . وقد يعلق به على معنى ، اتبعوا القرآن مع اتباعهم النبى صلى الله عليه وسلم إشارة الى العمل بالكتاب والسنة .

وجوز ان يكون فى موضع الحال من ضمير « اتبعوا » اى اتبعوا النور مصاحبين له فى اتباعه . وحاصله ماذكر فى الاحتمال الثانى ، وأن يكون حالا مقدرة من نائب فاعل انزل «١».

والنور فى القرآن الكريم على ثمانية أوجه :

١ - القرآن - ومنه قوله تعالى «واتبعوا النور الذى أنزل معه » «٢» وقال عز شانه « والنور الذى أنزلناه » «٣» سماه نورا لكشف ظلمات الشرك والشك ، أو لأنه ظاهر الإعجاز .

٢ - الإسلام ، ومنه قوله تعالى «يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم » «٤» وقوله « يريدون ليطفئوا نور الله » «٥» وقوله « يهدى الله لنوره من يشاء » «٦» .

٣ - الإيمان ومنه قوله عز وجل « يخرجهم من الظلمات إلى النور » «٧» وقوله « وجعلنا له نوره يمشى به » «٨» وقوله

---

(١) روح المعانى للألوسى ج ٩ /٨٢ .
(٢) الأعراف / ١٥٧ .
(٣) التغابن / ٨
(٤) التوبة / ٣٢ .
(٥) الصف / ٨
(٦) النور / ٣٥ .
(٧) البقرة / ٢٥٧
(٨) الانعام / ١٢٢ .

ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » (١)
وقوله « ويجعل لكم نورا تمشون به » (٢) .

٤ - الهدى ، ومنه قوله تعالى « الله نور السموات والأرض » (٣) أى من فى السموات والأرض « مثل نوره » أى هداه .

٥ - النبى ومنه قوله تعالى « قد جاءكم من الله نور » (٤)
وقوله « نور على نور » (٥) أى نبى بعد نبى .

٦ - البيان ومنه قوله تعالى « فيها هدى ونور » (٦) وقوله نورا وهدى للناس » (٧) .

٧ - الضوء ومنه قوله تعالى « وجعل الظلمات والنور » (٨)
وقوله ، « وقمرا منيرا » (٩) وقوله « يسعى نورهم » (١٠) .

٨ - العدل ، ومنه قوله عز وجل « واشرقت الأرض بنور ربها » (١١) .

٣ - البرهان :

قال الله جل ثناؤه « قد جاءكم برهان من

---

(١) النور/ ٤٠ .
(٢) الحديد/ ٢٨ .
(٣) النور/ ٣٥ .
(٤) المائدة / ١٥ .
(٥) النور / ٣٥ .
(٦) المائدة / ٤٤ .
(٧) الأنعام / ٩١ .
(٨) الأنعام الآية الأولى .
(٩) الفرقان ٦١ .
(١٠) الحديد / ١٢ .
(١١) الزمر / ٦٩ .

ربكم » (١) ، (٢) واخرج ابن عساكر عن سفيان الثورى عن أبيه عن رجل لايحفظ اسمه أن المراد بالبرهان هو النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وعبر عنه صلى الله بذلك لما معه من المعجزات التى تشهد بصدقه صلى الله عليه وسلم .

وقيل المراد بذلك دين الحق الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ، والتنوين للتفخيم ، « من » لابتداء الغاية مجازا ، وهى متعلقة ب « جاء » أو بمحذوف وقع صفة مشرفة « لبرهان » مؤكدة لما افاده التنوين .

وجوز أن تكون تبعيضية بحذف المضاف ، أى كائن من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار اللطيف بهم والايذان بأن مجيء ذلك لتربيتهم وتكميلهم .
« وانزلنا إليكم نورا مبينا » وهو القرآن . (٣)

وإذا كان المراد من « البرهان » القرآن أيضا فقد سلك به مسلك العطف المبنى على تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية ، واطلاق البرهان عليه ، لأنه اقوى دليل على صدق من جاء به واطلاق النور المبين ، لأنه بين بنفسه مستغن فى ثبوت حقيقة ولكونه من الله تعالى باعجازه غير محتاج الى غيره مبين لغيره من حقية الحق وبطلان الباطل ، مهدى للحق باخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الإيمان (٤) .

---

(١) منتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للامام ابن الجوزى تحقيق محمد السيد الصفطاوى ود. فؤاد عبد المنعم ص ٢٢٩ ٢٣١ .
(٢) النساء / ١٧٤ .
(٣) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ج ١/ ٤٢ .
(٤) روح المعانى للالوسى ج ٦ / ٤٢ .

٤ - البلاغ :

قال الله جل ثناؤه « هذا بلاغ للناس وهدى وموعظة للمتقين » (١) ووجه تسميته بذلك انه لم يصل إليهم حال اخبار النبي صلى الله عليه وسلم وإبلاغه إليهم إلا به .

وعلى هذا فإن الإشارة في قوله « هذا » إلى كل القرآن . وقيل : بل إشارة إلى كل هذه السورة سورة ابراهيم وقيل : بل اشارة الى المذكور من قوله « فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله .. » إلى قوله « سريع الحساب » (٢) والكلام على الأخير ابلغ فكانه قيل : هذا المذكور انفا كفاية في العظمة والتذكير من غير حاجة الى ما انطوى عليه السورة الكريمة ، او كل القرآن المجيد من فنون العظات والقوادع (٣) .

٥ - الامام المبين :

قال الله تعالى ذكره « وكل شيء احصيناه في إمام مبين » (٤) ووجه تسميته بذلك انه ابان وفرق بين الحق والباطل .

واختلف المفسرون في الإمام ، فقال القرطبي هو الكتاب المقتدى به الذي هو حجة .

وقال قتادة وابن زيد : اراد اللوح المحفوظ . وقالت فرقة : اراد اللوح المحفوظ (٥) .

---

(١) ابراهيم / ٥٢ .
(٢) التفسير الكبير لرازي ج ١٩ / ١٥٣ . الآيات (٤٧ - ٥١) ابراهيم
(٣) روح المعاني للآلوسي ج ١٣ / ٢٥٨ .
(٤) يس / ١٢ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٥ / ١٣ .

وقوله : « احصيناه » أبلغ من كتبناه ، لأن من كتب شيئا مفرقا يحتاج إلى جمع عدده هو محصى فيه .

وامام جاء جمعا في قوله تعالى : « يوم ندعو كل أناس بإمامهم » (١) أى بأئمتهم ، وحينئذ فامام اذا كان فردا فهو ككتاب وحجاب ، وإذا كان جمعا فهو كجبل وجبال (٢) .

٦- الروح :

قال الله تعالى ذكره : « وكذلك أوحينا إليك روحا من امرنا » (٣) إختلف اهل التأويل في معنى الروح في هذا الموضع ، فقال بعضهم : رحمة من أمرنا . وقيل : نبوة ، وقال الضحاك : هو القرآن وهو قول مالك بن دينار ، وسماه روحا ، لأن فيه حياة من موت الجهل ، وجعله من أمره بمعنى انزله كما شاء على من يشاء من النظم المعجز ، والتاليف المعجب (٤) .

قال الطبرى : يعنى تعالى ذكره بقوله « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا » أى كما كنا نوحي في سائر رسلنا ، كذلك اوحينا إليك يا محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن روحا من أمرنا . (٥)

ويمكن ان يحمل قوله عز شأنه : « ويسالونك عن الروح (٦) على القرآن أيضا « قل الروح من أمر ربى » أى يسالونك من

---

(١) الإسراء / ٧١ .
(٢) التفسير الكبير للرازى ج ٢٦ / ٥٠ .
(٣) الشورى / ٥٢ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٦ / ٥٤ ٥٥ .
(٥) جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبرى ج ٢٤ / ٣٨ .
(٦) الاسراء / ٨٥ .

اين لك هذا القرآن ، قل إنه من أمر الله انزله على معجزا ، ذكره القشيرى ، وكان مالك بن دينار يقول : يا أهل القرآن ماذا زرع القرآن فى قلوبكم ؟ فان القرآن ربيع القلوب ، كما ان الغيث ربيع الأرض . «١»

٤ - البشرى :

قال الله جل ثناؤه « قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » «٢» .

الضمير فى قوله « فإنه » يحتمل معنيين :

الأول : ان الله تعالى نزل جبريل على قلبك .

والثاني : أن جبريل نزل بالقرآن على قلبك . وخص القلب بالذكر ، لأنه موضع العقل والعلم وتلقى المعارف .

والضمير فى « نزله » يعود على القرآن ، وانه لم يجر له ذكر ، لأنه كالمعلوم كقوله عز وجل « ماترك على ظهرها من دابة » «٣» يعنى على الأرض وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما واكثر أهل العلم أى إن كانت عداوتهم ، لأن جبريل عليه السلام ينزل القرآن ، فانما ينزله باذن الله تعالى «٤»

قال صاحب الكشاف : إضمار مالم يسبق ذكره فيه فخامة لشان صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته .«٥»

---

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج ١٦ / ٥٤ ، ٥٥ .
(٢) البقرة / ٩٧ .
(٣) سورة النحل / ٦١ .
(٤) التفسير الكبير للرازى ج ٣ / ٢٦٢ .
(٥) الكشاف للزمخشرى ج ١ / ٢٩٩ .

وأورد على ذلك قول بعضهم : أن القرآن إنما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم فما السبب فى قوله « نزله على قلبك » ؟

وأجيب عن ذلك بأن أكثر الأمة على أنه أنزل القرآن عليه ، لا على قلبه ، إلا أنه خص القلب بالذكر لأجل أن الذى نزل به ثبت فى قلبه حفظا حتى أداه إلى أمته ، فلما كان سبب تمكنه من الأداء ثباته فى قلبه حفظا جاز أن يقال : « نزله على قلبك وإن كان فى الحقيقة نزله عليه لا على قلبه .(١)

وقيل : معنى « نزله على قلبك » جعل « قلبك » متصفا بأخلاق القرآن ومتأدبا بآدابه ، كما فى حديث عائشة رضى الله عنها : « كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويغضب لغضبه » وكان الظاهر أن يقول : على قلبى ، لأن القائل رسول الله صلى عليه وسلم لكنه حكى ماقال الله تعالى له ، لأن الحكاية مرة تكون مع التزام اللفظ ، ومرة تكون بالمعنى غير متبعة للفظ قليل الأمر فى هذه الآية توجه الى النبى صلى الله عليه وسلم أن يحكى معنى قول الله تعالى له « من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك » بلفظ المتكلم .. (٢) ونظير هذا قوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون . والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون » (٣) فانظر ماوقع بعد القول المنسوب إليهم مما يفهم أنه قول الله عز وجل لا على سبيل الحكاية عنهم ، إذ هم لا يقولون « فأنشرنا » وانما يقولون : فأنشر على لفظ الغيبة ، ولكن جاء الكلام حكاية على المعنى ، لأن معنى قولهم : فأنشر الله هو معنى قول الله عن ذاته

---

(١) التفسير الكبير للرازى ج ٣ / ٢٦٣ .
(٢) روح المعانى ج ١ / ٣٣٣ .
(٣) الزخرف ٩ ـ ١١ .

فانشرنا » (١) .

اما قوله تعالى : « وهدى وبشرى للمؤمنين » فالمراد به ان القرآن مشتمل على أمرين :

احدهما : بيان ملوقع التكليف به من اعمال القلوب واعمال الجوارح ، وهو من هذا الوجه هدى .

وثانيهما : بيان أن الآتي بتلك الأعمال كيف يكون ثوابه وهو من هذا الوجه بشرى ، ولما كان الأول مقدما على الثاني في الوجود لاجرم قدم الله لفظ الهدى على لفظ البشرى .

وخص المؤمنين بالذكر ، لأنهم هم الذين اهتدوا بالكتاب وأنه لا يكون بشرى إلا للمؤمنين ، وذلك لأن البشرى عبارة عن الخبر الدال على حصول الخير العظيم ، وهذا لا يحصل إلا في حق المؤمنين فلهذا خصهم الله به (٢) .

٨ - البشير والنذير :

قال الله تعالى « بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لايسمعون » (٣) وسمي بذلك لأنه بشر بالجنة وأنذر من النار.

وبهذا الاسم وقعت المشاركة بينه وبين الأنبياء قال الله تعالى في صفة الرسل : « مبشرين ومنذرين » (٤) وقال في صفة محمد صلى الله عليه وسلم : « إنا ارسلناك شاهدا

---

(١) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ج / ٢٩٩ .
(٢) التفسير الكبير للرازي ج ٣ / ٢١٣ .
(٣) فصلت / ٤ .
(٤) البقرة / ٢١٣ والنساء / ١٦٥ والانعام ٤٨ .

ومبشرا ونذيرا » (١) (٢). قال الله تعالى ذكره « ويبشر المؤمنين » (٣) (٤) .

والتبشير يكون بالخير ، وقد يكون بالشر إذا كان مقيدا به . يقال بشره تبشيرا إذا أخبره بخبر يظهر أثره على بشرة وجهه .

والبشارة التي حملها القرآن الكريم للناس على وجوه متعددة منها الهداية والحفظ والرعاية ، والولاية والنجاة والمغفرة والرضوان والجنة والرؤية ، والصلوات والرحمة وفيما يلى بيان ذلك :

فالهداية كما فى قوله تعالى « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله » (٥).

والحفظ والرعاية : قال الله تعالى «وبشر المخبتين» (٦) .

والولاية : مثل قوله تعالى « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون » (٧) والمغفرة والأجر كقوله تعالى : « إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم » (٨) .

والرضوان كقوله عز وجل « يبشرهم ربهم برحمة منه

---

(١) الأحزاب / ٤٥ .

(٢) التفسير الكبير للرازى ج ٢ / ١٨ والبرهان فى علوم القرآن للزركشى ج ١ / ٢٧٦ .

(٣) الاسراء /٩ والكهف /٢

(٤) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ج ١ /٨٩

(٥) الزمر / ١٧ (٦) الحج / ٣٤ .

(٧) فصلت / ٣٠ ، ٣١ . (٨) يس / ١١ .

ورضوان » (١).

والرؤية : كقوله تعالى « وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » (٢) .

والجنة : كقول الله تعالى « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » (٣) .

والصلوات والرحمة : قال الله تعالى « وبشر الصابرين الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة » (٤) .

وقد تأتي البشارة على سبيل التثبيت والاستهزاء كقوله تعالى « بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما » (٥)

(٩) الهدى :

قال الله تعالى ذكره « هدى للمتقين » (٦) (٧) ووجه

---

(١) التوبه / ٢١ . (٢) الأحزاب / ٤٧ . (٣) البقرة / ٢٥

(٤) البقرة ١٥٥ - ١٥٦ . (٥) النساء / ١٣٨

(٦) الهدى لفظ مؤنث . قال الفراء : بعض بنى أسد تؤنث الهدى فتقول : هذه هدى حسنة . وقال اللحيانى : هو مذكر ، ولم يعرب ، لأنه مقصور والألف لاتتحرك ، ويتعدى بحرف وبغير حرف تقول : (هديه الطريق وإلى الطريق والدار وإلى الدار) أى عرفته : الأولى لغة أهل الحجاز والثانية حكاها الأخفش .

وفى التنزيل : (اهدنا الصراط المستقيم) الفاتحة / ٦ وقال عز شانه «الحمد لله الذى هدانا لهذا » الأعراف / ٤٣ . وقيل : ان الهدى اسم من أسماء النهار ، لأن الناس يهتدون فيه لمعايشهم وجميع مآربهم والجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج ١ / ١٦٠ .

(٧) البقرة / ٢ .

تسميته بذلك أن فيه دلالة بينة الى الحق وتفريقا بينه وبين الباطل .

والهدى هديان : هدى دلالة ، وهو الذى تقدر عليه الرسل واتباعهم قال الله تعالى « ولكل قوم هاد » «١» وقال : « وإنك لتهدى الى صراط مستقيم » «٢» .

فاثبت لهم الهدى الذى معناه والدعوة والتنبية ، وتفرد هو سبحانه بالهدى الذى معناه التاييد والتوفيق ، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم إنك لا تهدى من أحببت » «٣» فالهدى على هذا يجيء بمعنى خلق الإيمان فى القلب ، ومنه قوله تعالى « أولئك على هدى من ربهم » «٤» وقوله « ويهدى من يشاء » «٥» والهدى الاهتياء ومعناه راجع إلى معنى الارشاد كيفما تصرفت .

وقد ترد الهداية والمراد بها إرشاد المؤمنين الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها ، ومن ذلك قوله تعالى فى صفة المجاهدين « فلن يضل اعمالهم سيهديهم » «٦» ومنه قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم » «٧» معناه فاسلكوهم إليها «٨».

فإن قيل : فلم قيل : « هدى للمتقين » والمتقون مهتدون ؟ .
رد عليهم بأن هذا كقولك : للعزيز المكرم : أعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ماهو ثابت فيه واستدامته كقوله عز شانه : « اهدنا الصراط المستقيم » «٩» .

---

(١) الرعد / ٧ .   (٢) الشورى / ٥٢ .
(٣) القصص /٥٦ .   (٤) البقرة / ٥
(٥) يونس / ٢٥ .   (٦) محمد /٤ - ٥
(٧) الصافات / ٢٣ .
(٨) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج ١ /١٦٠
(٩) الفاتحة /٦ .

ووجه آخر وهو أنه سماهم عند مشارفهم لاكتساء لباس التقوى متقين ، كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قتل قتيلا فله سلبه " (١) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : " إذا أراد أحدكم الحج فليعجل فإنه يمرض المريض وتضل الضالة وتكتنف الحاجة (٢) " فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ، ومنه قوله تعالى : « ولايلدوا إلا فاجرا كفارا » (٣) أي صائرا إلى الفجور والكفر (٤) .

وقال ابن المنذر ان ال « الهدى » يطلق في القرآن على معنيين :

أحدهما : الإرشاد وإيضاح سبيل الحق ، ومنه قوله تعالى : « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » (٥) . وعلى هذا يكون الهدى للضال باعتبار أنه رشد إلى الحق سواء حصل له الاهتداء أو لا .

والآخر : خلق الله تعالى الاهتداء في قلب العبد ومنه قوله تعالى : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » (٦) . فإذا ثبت وروده على المعنيين فهو في

---

(١) أخرجه : البخاري في فرض الخمس ، باب من لم يخمس الأسلاب ، وفي البيوع باب بيع السلاح في الفتنة وفي الاحكام باب الشهادة تكون عن الحاكم في ولايته القضاء ، مسلم في الجهاد باب استحقاق سلب القتيل رقم ١٥٧٥ ، أبو داود في الجهاد باب في السلب يعطى للقاتل رقم ٢٧١٧ و ٢٨١٨ والترمذي في السير باب ماجاء فيمن قتل قتيلا، والموطأ ج ٢ / ٤٥٤ .

(٢) أخرجه : الحاكم في المستدرك ج ١ / ٤٤٨ وأبو داود في المناسك باب رقم ٦ حديث رقم ١٧٣٢ والبيهقي في السنن الكبرى ج ٤ / ٣٣٩ .

(٣) نوح / ٢٧ . (٤) الكشاف ج ١ / ١١٧ - ١١٨ .

(٥) فصلت / ١٧ . (٦) الأنعام / ٩٠ .

هذه الآية يحتمل أن يراد به المعنيان جميعا . وأما قول الزمخشري : ان القرآن لا يكون هدى للمعلوم بكاؤهم على الضلالة فانما يستقيم اذا اريد بالهدى خلق الاهتداء في قلوبهم ، وأما اذا أريد معناه الأول فلا يمتنع ان الله تعالى أرشد الخلق اجمعين وبين للناس منازل اليهم فمنهم من اهتدى ومنهم من حقت عليه الضلالة . (١)

والذي يبدو لي أن الاقتصار على « المتقين » هنا بناء على تفسيرنا الهداية مدحا لهم ليبين سبحانه أنهم الذين اهتدوا وانتفعوا بها ، كما قال الله تعالى ذكره « إنما أنت منذر من يخشاها (٢) » مع عموم انذاره صلى الله عليه وسلم ، وأما غيرهم فلا « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا » (٣) « ولايزيد الظالمين إلا خسارا » (٤) .

وأما القول بان التقدير « هدى للمتقين والكافرين » فحذف لدلالة المتقين على حد قوله تعالى : « سرابيل تقيكم الحر » (٥) فمما لايلتفت إليه هذا (٦) .

قال الرازي : القرآن كما أنه هدى للمتقين ودلالة لهم على وجود الصانع ، وعلى دينه وصدق رسوله ، فهو ايضا دلالة للكافرين ، إلا أن الله تعالى ذكر المتقين مدحا ليبين انهم هم الذين اهتدوا وانتفعوا به كما قال : « انما انت منذر من يخشاها » . وقال : « إنما تنذر من اتبع الذكر » (٧) وقد كان صلى الله عليه وسلم منذرا لكل الناس فذكر هؤلاء الناس

---

(١) الانصاف لابن المنير ج ١ / ١١٧- ١١٨
(٢) النازعات / ٤٥ . (٣) الاسراء / ٤٥ .
(٤) الاسراء / ٨٢ . (٥) النحل / ٨١ .
(٦) روح المعاني للآلوسي ج ١ / ١١٠ .
(٧) يس / ١١ .

لأجل أن هؤلاء هم الذين انتفعوا بانذاره ، وأما من فسر الهدى بالدلالة الموصلة الى المقصود بهذا تساؤل زائل عنه ، لأن كون القرآن موصلا الى المقصود ليس إلا فى حق المتقين «١».

فإن قيل : كيف وصف القرآن كله بأنه هدى ، وفيه مجمل ومتشابه كثير ولولا دلالة العقل لما تميز المحكم عن المتشابة ، فيكون الهدى فى الحقيقة هو الدلالة العقلية لا القرآن ، ومن هذا نقل عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال لابن عباس حين بينه رسولا إلى الخوارج ، لاتحتج عليهم بالقرآن فإنه خصم ذو وجهين ، ولو كان هدى لما قال على بن ابى طالب ذلك فيه ، ولأنا نرى جميع فرق الاسلام يحتجون به ، ونرى القرآن مملوء من آيات بعضها صريح فى الجبر وبعضها صريح فى القدر ، فلا يمكن التوفيق بينهما إلا بالتعسف ، فكيف يكون هدى ؟ .

رد عليهم بأن ذلك المتشابه والمجمل لما لم ينفك عما هو المراد على التعيين وهو اما دلالة العقل أو دلالة السمع صار كله هدى «٢» .

فان قيل : كل مايتوقف صحة كون القرآن حجة على صحته لم يكن القرآن هدى فيه ، فاذن استحال كون القرآن هدى فى معرفة ذات الله تعالى وصفاته وفى معرفة النبوة ، ولاشك أن هذه المطالب اشرف المطالب ، فإذا لم يكن القرآن هدى فيها فكيف جعله الله تعالى هدى على الاطلاق ؟ .

رد عليهم بانه ليس من شرط كونه هدى أن يكون هدى فى كل شيء ، بل يكفى فيه أن يكون هدى فى بعض الأشياء ، وذلك بأن يكون هدى فى تعريف الشرائع ، أو يكون هدى فى تاكيد مافى العقول ، وهذه الآية من اقوى الأدلة على أن

---

(١) و (٢) التفسير الكبير للرازى ج ٢ ص ٢٤ .

المطلق لايقتضي العموم ، فإن الله تعالى وصفه بكونه هدى من غير تقييد في اللفظ مع أنه يستحيل أن يكون هدى في إثبات الصانع وصفاته وإثبات النبوة ، فثبت أن المطلق ليفيد العموم (١) .

والذى نخلص إليه أن الهدى ، هديان ، هدى دلالة ، وهو الذى يقدر عليه الرسل واتباعهم ، قال الله تعالى « ولكل قوم هاد » (٢) وقال : « وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » (٣) فاثبت لهم الهدى الذى معناه الدلالة والدعوة والتنبيه ، وتفرد سبحانه وتعالى بالهدى الذى معناه التاييد والتوفيق فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : " إنك لا تهدى من أحببت " (٤) فالهدى على هذا يجىء بمعنى خلق الإيمان فى القلب ومنه قوله عز شانه « اولئك على هدى من ربهم » (٥) وقوله « ولكن الله يهدى من يشاء » (٦) .

وخصت الهداية للمتقين ، كما قال بجل ثناؤه « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد » (٧) وقال عز شانه « وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الا خسار » (٨) الى غير ذلك من الآيات الدالة على اختصاص المؤمنين بالنفع بالقرآن ، لأنه هو نفسه هدى ، ولكن لا يناله إلا الأبرار كما قال جل ثناؤه « يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » (٩) .
وعلى هذا فإن الهدايـة قد خصت بالمتقين ، لأنهم هم الذين

---

(١) السابق ج ٢ / ٢٤ ٢٥ .
(٢) الرعد / ٧ .
(٣) الشورى / ٥٢ .
(٤) القصص / ٥٦ .
(٥) البقرة / ٥ .
(٦) القصص / ٥٦ .
(٧) فصلت / ٤٤ .
(٨) الأسراء / ٨٢
(٩) يونس / ٥٧ .

انتفعوا بقولهم وافادوا منها فاهتدوا بما جاء به الرسل ، وهم الأحياء على الحقيقة التي عبر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى ذكره « لينذر من كان حيا » (١) فكان المؤمن الذي يتبع القرآن هو الحي ، وسواء ميت كما قال الله جل ثناؤه : « أو من كان ميتا فأحييناه » (٢) حيث عبر عن الكافر بأنه ميت ، ثم جاء الإسلام فأحياه باتباعه .

والهدى في القرآن الكريم على أربعة عشر وجها :

١ - القرآن . ومنه قوله تعالي « وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى (٣) وقوله « ولقد جاءهم من ربهم الهدى » (٤)

٢ - البيان . ومنه قوله تعالي « وأما ثمود فهديناهم » (٥) وقوله « أو لم يهد لهم » (٦) وقوله « إنا هديناه السبيل » (٧) وقوله « وهديناه النجدين » (٨) .

٣ - دين الاسلام ومنه قوله تعالي : « إن هدى الله هو الهدى » (٩) وقوله « إن الهدى هدى الله » (١٠) . وقوله « إنك لعلى هدى » (١١) .

٤ - الإيمان ومنه قوله تعالى « وزدناهم هدى » (١٢) وقوله « ويزيد الله الذين اهتدوا هدى » (١٣) وقوله « أنحن صددناكم عن الهدى » (١٤) وقوله « إننا لمهتدون » (١٥) .

---

(١) يس / ٧١ .
(٢) الانعام / ١٢٢ .
(٣) الاسراء / ٩٤ .
(٤) النجم / ٢٣ .
(٥) فصلت / ١٧ .
(٦) السجدة / ٢٦ .
(٧) الانسان / ٣ .
(٨) البلد / ١٠ .
(٩) البقرة / ١٢٠ .
(١٠) آل عمران / ٧٣ .
(١١) الحج / ٦٧ .
(١٢) الكهف / ١٣ .
(١٣) مريم / ٧٦ .
(١٤) سبأ / ٣٢ .
(١٥) الزخرف / ٤٩ .

٥ - أمر محمد صلى الله عليه وسلم ومنه قوله تعالى « من البينات والهدى » (١) وقوله « من بعد ماتبين لهم الهدى » (٢) .

٦ - الدعاء ، ومنه قوله تعالى « ولكل قوم هاد » (٣) وقوله يهدى للتي هي أقوم » (٤) وقوله « يهدون بأمرنا » (٥) وقوله وانك لتهدى » (٦) وقوله « يهدى إلى الرشد » (٧) .

٧ - التوراة ، ومنه قوله تعالى « ولقد آتينا موسى الهدى » (٨) .

٨ - التوحيد ، ومنه في براءة قوله تعالى « هو الذى أرسل رسوله بالهدى » (٩) وقوله تعالى « ان نتبع الهدى معك » (١٠) .

٩ - السنة ، ومنه قوله تعالى « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » (١١) وقوله « على آثارهم مهتدون » (١٢) .

١٠ - الالهام ، ومنه قوله تعالى « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » (١٣) أى الهم كيف المعاشر .وقوله « قدر فهدى » (١٤).

---

(١) البقرة / ١٥٩ .
(٢) سورة محمد صلى الله عليه وسلم / ٣٢ .
(٣) الرعد / ٧ . (٤) الاسراء / ٩ .
(٥) الأنبياء / ٧٣ . (٦) الشورى / ٥٢ .
(٧) الجن / ٢ . (٨) غافر / ٥٣ .
(٩) التوبه / ٣٣ . (١٠) القصص / ٥٧ .
(١١) الأنعام / ٩٠ . (١٢) الزخرف / ٢٢ .
(١٣) طه / ٥٠ . (١٤) الأعلى / ٣ .

١١ - السلاح ، ومنه قوله تعالى « لايهدى كيد الخائنين » (١) .

١٢ - الرسول ، ومنه قوله تعالى « فإما يأتيكم منى هدى » . (٢)

١٣ - الموت على الإسلام ، ومنه قوله تعالى « ثم هدى » (٣) .

١٤ - الثبات ومنه قوله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم » (٤) اى ثبتنا عليه (٥) .

١٥ - الهادى :

قال الله تعالى : «إن هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم » (٦) فالقرآن يهدى الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم لأقوم واسدها ، أعنى ملة الاسلام والتوحيد ف « للتى » صفة لموصوف حذف اختصارا ، وقدره بعضهم الحالة ، أو الملة ، وأيما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذى تجده مع الحذف لما فى الابهام من الدلالة على انه جرى الوادى وطم القرى . واقوم افعل تفضيل على ما أشار اليه غير واحد (٧) .

وقال أبو حيان : الذى يظهر من حيث المعنى انه لايراد به

---

(١) يوسف / ٥٢ .
(٢) البقرة / ٣٨ وطه / ١٢٣ .
(٣) طه / ٥٠ .
(٤) الفاتحة / ٦ .
(٥) قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر لابن الجوزى ص ٢٤١ - ٢٤٤ .
(٦) الإسراء / ٩ .
(٧) روح المعانى للألوسى ج ١٥ / ٢٢ والبرهان فى علوم القرآن ج ١ / ٢٧٥ .

التفصيل ، إذ لا مشاركة من الطريقة التي يهدى لها القرآن وغيرها من الطرق في مبدأ الاشتقاق لتفضل عليه ، فالمعنى للتي هي قيمة ، أي مستقيمة ، كما قال الله تعالى « فيها كتب قيمة » (١) وقال عز شأنه « وذلك دين القيمة » (٢) ، (٣) وإلى ذلك ذهب الإمام الرازي (٤) .

والحاصل ان قولنا : هذا الشيء اقوم من ذاك ، انما يصح في شيئين يشتركان في معنى الاستقامة ، ثم كان حصول معنى الاستقامة في احدى الصورتين اكثر واكمل من حصوله في الصورة الثانية ، وهذا محال لأن المراد من كونه مستقيما كونه حقا وصدقا ، ودخول التفاوت في كون الشيء حقا وصدقا محال ، فكان وصفه بأنه اقوم مجازا ، الا ان لفظ الأفعل قد جاء بمعنى الفاعل كقولنا : الله اكبر أي الله كبير ، وقولنا : الأشج والناقص اعدلا بني مروان ، أي عادلا بني مروان .

١٣ - الشفاء :

قال الله تعالى « وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين » (٥) وقوله عز وجل « وشفاء لما في الصدور » (٦) وفيه وجهان :

احدهما : أنه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحوه ، وقد روى الأئمة - واللفظ للدارقطني - عن أبي سعيد الخدري قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية ثلاثين راكبا قال : فنزلنا على قوم من العرب فسألناهم أن يضيفونا فأبوا ، فلدغ سيد الحي ، فأتونا فقالوا : فيكم احد يرقي

(١) البينة / ٣ . (٢) البينة / ٥ .
(٣) البحر المحيط ج٦/١٣ .
(٤) التفسير الكبير للرازي ج ٢٠ / ١٦٠ ، والكشاف ج ٢ / ٤٣٩
(٥) الاسراء / ٨٢ . (٦) يونس / ٥٧ .

من العقرب ؟ قال : قلت : أنا نعم ، ولكن لا افعل حتى تعطونا . فقالوا : فانا نعطيكم ثلاثين شاة . قال فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين ، سبع مرات فبرأ .

وفي رواية سليمان بن قتبة عن أبي سعيد ، فأفاق وبرأ ، فبعث إلينا بالمنزل وبعث الينا بالشفاء ، فأكلنا الطعام وأنا وأصحابي وأبوا أن يأكلوا من الغنم حتى أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته الخبر فقال : « وما يدريك أنها رقية » ؟ قلت : يارسول الله شيء ألقي في روعي . قال : كلوا وأطعمونا من الغنم » (١) .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في المرض الذى مات فيه بالمعوذات ، فلما ثقل كنت أنفثه عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها (٢) .

الثاني : أنه شفاء القلوب بزوال الجهل عنها ، وإزالة الريب ، ولكشف غطاء القلب من مرض الجهل لفهم المعجزات الدالة على الله تعالى (٣) .

---

(١) البخاري ج ١ / ٢٣ بزيادة ونقص ، والترمذى ج ٢ / ٦ و٧ كذلك ثم قال : حديث حسن .

(٢) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ، باب فضل المعوذات ج ٩ /٥٦ ، وفي الطب باب النفث في الرقية ، وفي الدعوات ، باب التعوذ والقراءة عند النوم ، مسلم في السلام باب رقية المريض بالمعوذات رقم ٢١٩٢ ، أبو داود في الطب ، باب كيف الرقى ، والترمذى في الدعوات ، باب ماجاء فيمن يقرأ من القرآن عند المنام رقم ٣٣٩٩ ومالك في الموطأ ج ٢ / ٩٤٢ و ٩٤٣ في العين ، باب التعوذ والرقية .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٠ / ٣٣٤ .

ومجمل القول فى ذلك أن القرآن الكريم شفاء من الأمراض ، كما أنه شفاء من مرض الكفر لأنه تعالى ذكره وصف الكفر والشك بالمرض ، فقال عز شأنه : « فى قلوبهم مرض » «١» وبالقرآن يزول كل شيء عن القلب ، فصح وصفه بأنه شفاء ، وفى الخبر « من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء له » «٢» .

١٣ - التنزيل :

قال الله تعالى « وإنه لتنزيل رب العالمين » «٣» ووجه تسميته بذلك أنه مصدر « نزلته » ، لأنه منزل من عند الله على لسان جبريل عليه السلام ، لأن الله تعالى أسمع جبريل كلامه وفهمه إياه كما شاء من غير وصف ولا كيفية نزل به على نبيه فاداه هو كما فهمه وعلمه «٤» . والضمير فى « وإنه » عود لما فى مطلع السورة الكريمة من التنويه بشأن القرآن العظيم ورد ماقاله المشركون فيه ، فالضمير راجع الى القرآن .

وقيل هو تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فإن الأخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون إلا وحيا من الله عز وجل ، فالضمير لما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص المحكية . وجوز ان يكون للقرآن الذى هى من جملته والاخبار عم ذلك بتنزيل للمبالغة ، والمراد انه بمنزل من الله تعالى «٥» . ووصفه سبحانه بربوبية العالمين للآولين بأن تنزيله من أحكام تربيته عز وجل ورأفته بالكل .

---

(١) البقرة / ١٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج١٠ / ٣٢٣ .

(٣) الشعراء / ١٩٢ .

(٤) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج ١ / ٢٨١ .

(٥) روح المعانى للآلوسى ج ١٩ / ١٢٠ من المجلد السابع والبحر المحيط ج ٧ / ٣٠ .

والذى اميل إليه ان الضمير فى « وانه » عائد الى القرآن ، اى انه ليس بكهانه ولا سحر ، بل هو من عند الله ، وكانه عاد ايضا الى ما افتتح به السورة من اعراض المشركين عما يأتيهم من الذكر ليتناسب المفتتح والمختتم .

والتنزيل فى القرآن على تسعه اوجه :

١ - التنزيل بمعنى التعليم نحو قوله تعالى « نزل به الروح الأمين على قلبك » (١) اى علم جبريل " النبى صلى الله عليه وسلم" وكقوله تعالى « وهذا كتاب انزلناه » (٢) اى علمناه .

٢ - القول ، وذلك كقوله تعالى « ومن قال سانزل مثل ما انزل الله » (٣) يعنى ساقول مثل ماقال الله تعالى . وقال عز شانه « تنزيل الكتاب » (٤) .

٣ - انزلنا بمعنى خلقنا . قال الله تعالى « وانزلنا الحديد فيه باس شديد » (٥) يعنى خلقنا .

٤ - الإنزال : إنزال المطر من السماء . قال الله تعالى « وأنزلنا من السماء ماء طهوراً » . (٦)

٥ - التنزيل بمعنى البيان نحو قوله تعالى « ونزلناه تنزيلا » (٧) اى وبيناه بيانا .

٦ - التنزيل بمعنى الاهباط نحو قاله عز وجل « وقل رب انزلنى منزلا مباركا » (٨) اى من السفينة الى الأرض .

---

(١) الشعراء / ١٩٣ . (٢) الأنعام / ٩٢ .
(٣) الأنعام / ٩٣ . (٤) الزمر / ١ .
(٥) الحديد / ٢٥ . (٦) الفرقان / ٤٨ .
(٧) الاسراء / ١٠٦ . (٨) المؤمنون /٢٩ .

٧ - النزول بمعنى الثواب نحو قوله تعالى ذكره « أذلك خير نزلا » (١) يعني ثوابا . وكقوله تعالى « نزلا من غفور رحيم » (٢) يعني ثوابا .

٨ - التنزيل بمعنى الارسال ، نحو قوله جل ثناؤه « وقالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة » (٣) أي لأرسل رسلا من الملائكة . وكقوله تعالى في سورة المؤمنين « ولو شاء الله لأنزل ملائكة » (٤) .

٩ - الإنزال بمعنى البسط . نحو قوله تعالى « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر مايشاء » (٥) ، (٦) .

١٣ - البينة :

قال الله جل ثناؤه « فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة » (٧) ، (٨) أي جاءكم من الله تعالى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم النبي العربي قرآن عظيم فيه بيان الحلال والحرام وهدى لما في القلوب ، ورحمة من الله لعباده الذين يتبعونه ويقتضون مافيه (٩) .

وعبر عنه بالبينة أولا إيذانا بكمال تمكنهم من دراسته ، وبالهدى والرحمة ثانيا تبنيها على انه مشتمل على ما اشتملت

---

(١) الصافات /٦٢ (٢) فصلت /٣٢ .
(٣) فصلت / ١٤. (٤) المؤمنون / ٢٤ .
(٥) الشورى / ٢٧ .
(٦) اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن للدامغاني ص ٤٥٤
(٧) الأنعام / ١٥٧ .
(٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج ١ / ٩١
(٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ / ١٩٣

عليه التوراة من هداية الناس ورحمتهم ، بل هو عين الهداية والرحمة (١) .

فإن قيل : البينة والهدى واحد ، فما الفائدة فى التكرير ؟ .

قلنا : القرآن بينة فيما يعلم سمعا ، وهو هدى فيما يعلم سمعا وعقلا ، فلما اختلفت الفائدة صح هذا العطف (٢) .

وقال الله تعالى « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة » (٣) وفى المراد من البينة فى هذه الآية الكريمة أقوال :

الأول : أنها القرآن - وهو قول قتادة وابن زيد - ومعنى ذلك : لم يكن هؤلاء الكفار من أهل التوراة والانجيل والمشركون من عبدة الأوثان - منفكين - منتهين حتى يأتيهم القرآن (٤) ونظيره قوله تعالى « أولم تأتهم بينة مافى الصحف الأولى » (٥)

الثانى : إنها هى الرسول صلى الله عليه وسلم (٦) ومعنى ذلك أن أهل الكتاب وهم المشركون لم يكونوا تاركين صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - فى كتابهم حتى بعث ، فلما بعث تفرقوا (٧) ثم ذكروا فى أنه لم سمى بالبينة وجوها :

---

(١) روح المعانى للآلوسى ج ٣٠ / ٢٥٧ .
(٢) التفسير الكبير للرازى ج ١٤ / ٧ .
(٣) البينة / ١ .
(٤) جامع البيان عن تفسير آى القرآن ج ٣٠ / ١٦٩ .
(٥) طه / ١٣٣ .
(٦) التفسير الكبير للرازى ج ٣٢ / ٤١ .
(٧) تفسير الطبرى ج ٣٠ / ١٦٩ .

الوجه الأول :

أن ذاته كانت بينة على نبوته ، وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم كان في نهاية الجد في تقرير النبوة والرسالة ، ومن كان كذابا متصنعا فانه لا يتاتى منه ذلك الحد المتناهى ، فلم يبق إلا يكون صادقا او متوحدا ، والثاني معلوم البطلان ، لأنه كان في غاية كمال العقل ، فلم يبق إلا أن يكون صادقا .

الوجه الثاني :

أن مجموع الأخلاق الحاصلة فيه كان بالغا الى حد كمال الإعجاز .

الوجه الثالث :

أن معجزاته عليه الصلاة والسلام كانت في غاية الظهور وكانت ايضا في غاية الكثرة ، فلاجتماع هذين الأمرين جعل كأنه صلى الله عليه وسلم في نفسه بينة وحجة ، ولذلك سماه الله تعالى « سراجا منيرا » (1) .

واحتج القائلون بان المراد من البينة هو الرسول بقوله تعالى بعد هذه الآية « رسول من الله » فهو رفع على البدل من البينة ، وقرا عبد الله « رسولا » حال من البينة ، قالوا : والألف واللام في قوله « البينه » للتعريف ، أى هو الذى سبق ذكره في التوراة والانجيل على لسان موسى وعيسى - أو يقال : انها للتفخيم أى هو « البينة » التى لامزيد عليها ، أو البينة كل البينة لأن التعريف قد يكون للتفخيم وكذا التنكير ، وقد جمعهما الله هاهنا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم فبدأ بالتعريف وهو لفظ البينة ، ثم اتى بالتنكير فقال « رسول من

---

(1) الأحزاب / ٤٦ .

الله » أى هو رسول ، وأى رسول ، ونظيره ماذكره الله تعالى في الثناء على نفسه فقال « ذو العرش المجيد » ثم قال : « فعال » «١» فنكر بعد التعريف «٢» .

وقال اصحاب الاتجاه الأول - الذين جوزوا ان يراد بالبينة القرآن ، لأنه مبين للحق أو معجز مثبت للمدعي أن قوله « رسول » بدل اشتمال ، أو بدل كل من كل أيضا بتقدير مضاف ، اى بينة أو وحي أو معجز او كتاب رسول او هو خبر مبتدأ مقدر ، اى هي رسول ويقدر معه مضاف ، وجوز ان يكون « رسول » مبتدأ لوصفه وخبره جملة « يتلو » الخ وجملة المبتدأ وخبره مفسرة للبينة ، وقيل اعتراض لمدحها ، وقيل لها مرادا بها القرآن «٣» .

القول الثالث :

أن المراد من « البينة » مطلق الرسل وهو قول ابى مسلم قال : المراد من قوله « حتى تأتيهم البينة » اى حتى تأتيهم رسل من ملائكة الله تتلوا عليهم صحفا مطهرة وهو كقوله « يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء » «٤» وكقوله « بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة » «٥» ، «٦» .

قال الطبرى « واولى الأقوال في ذلك بالصحة ان يقال : معنى ذلك : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين

«١» البروج / ١٥-١٦ .
«٢» التفسير الكبير للرازى ج ٣٢ / ٤١ .
«٣» روح المعانى للآلوسى ج ٣٠ / ٣٥٧ .
«٤» النساء / ١٥٣ .
«٥» المدثر / ٥٢ .
(٦) التفسير الكبير للرازى ج ٣٢ / ٤١ - ٤٢ .

مفترقين في أمر محمد - صلى الله عليه وسلم - حتى تاتيهم البينه ، وهي ارسال الله اياه رسولاً الى خلقه رسول من الله - وقوله « منفكين » فى هذا الموضع عندى من انفكاك الشيئين احدهما من الآخر ، ولذلك صلح بغير خبر ، ولو كان بمعنى مازال احتاج الى خبر يكون تماما له ، واستؤنف قوله « رسول من الله » وهي نكره على البينة وهي معرفة كما قيل « ذو العرش المجيد فعال » فقال ، « حتى تاتيهم بيان أمر محمد - صلى الله عليه وسلم - انه رسول الله ببعثة الله اياه اليهم ثم ترجم عن البينة فقال ، تلك البينة « رسول من الله يتلوا صحفا مطهره » يقول ، يقرا صحفا مطهرة من الباطل «١» .

١٤ - البيان :

قال الله تعالى « هذا بيان الناس » «٢» ، «٣» الإشارة اما الى القرآن ، وهو المروى عن الحسن وقتادة وغيرهما ، حيث قالوا ، قد جعله الله بيانا للناس عامة وهدى وموعظة للمتقين خاصة «٤» . خدش بانه بعيد عن السياق «٥» واما الى مالخص من امر الكفار والمتقين والتائبين فى قوله سبحانه « قد خلت » «٦» الآيه اعتراض للحث على الإيمان والتقوى والتوبة - كما قيل - ووجه الاعتراض لدفع الاعتراض بان المعترضه مؤكدة للمعترض فيه ، وهنا ليس كذلك بان تلك الآيات واردة على سبيل الترغيب والترهيب لآكلى الربا ، وهذه الآية دلت على الترهيب ومعناه راجع الى الترغيب بحسب التضاد ، كما ان بعض الآيات الواردة فى الرحمن للوعيد تعد من الآلاء بحسب

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٣٠ / ١٦٩ .

(٢) آل عمران / ١٣٨ .

(٣) الإتقان فى علوم القرآن تحقيق محمد ابو الفضل ج ١ / ١٤٥ والبرهان فى علوم القرآن للزركشى ج ١ / ٦٦ .

(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٤ / ٦٦ .

(٥) روح المعانى للآلوسى ج ٤ / ٦٥ .

(٦) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٤ / ٦٦ .

الزجر عن المعاصي فيأتي التوكيد دون نقص (١) .
وأما إلى ماسلف من قوله سبحانه « قد خلت » الخ (٢)
وهو المروى عن ابى اسحاق ، واختاره الطبرى حيث يقول « وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال قوله هذا » إشارة إلى ماتقدم هذه الآية من تذكير الله جل ثناؤه المؤمنين وتعريفهم حدوده وحضهم على لزوم طاعته والصبر على جهاد أعدائه وأعدائهم ، لأن قوله « هذا » إشارة إلى حاضر اما مرئى واما مسموع ، وهو فى هذا الموضع الى حاضر مسموع من الآيات المتقدمة ، فمعنى الكلام على هذا الذى أوضحت لكم وعرفتكموه بيان للناس يعنى بالبيان الشرح والتفسير » (٣) .

واما قوله « وهدى وموعظة » فإنه يعنى بالهدى الدلالة على سبيل الحق ومنهج الدين ، وبالموعظة التذكرة للصواب والرشاد (٤) .

ولابد من الفرق بين البيان وبين الهدى مبين الموعظة ، لأن العطف يقتضى المغايرة ، فنقول فيه وجهان :
الأول : أن البيان هو الدلاله التى تفيد ازالة الشبهة بعد أن كانت الشبهة حاصلة ، فالفرق ان البيان عام فى أى معنى كان ، وأما الهدى فهو بيان لطريق الرشد ليسلك دون طريق الغى ، وأما الموعظه فهى الكلام الذى يفيد الزجر عما لاينبغى فى طريق الدين .
فالحاصل أن البيان جنس تحته نوعان : أحدهما : الكلام الهادى الى ماينبغى فى الدين ، وهو الهدى ، الثانى : الكلام الزاجر عما لا ينبغى فى الدين وهو الموعظة .

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٤ / ٦٦ .
(٢) روح المعانى ج ٤ / ٦٥ .
(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٤ / ٦٦ .
(٤) السابق : ج ٤ / ٦٦ .

الوجه الثانى : أن البيان هو الدلالة ، وأما الهدى فهو الدلالة بشرط كونها مفضية الى الاهتداء «١» .

١٥ - التبيان لكل شيء :

قال الله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » «٢» ووجه تسميته بذلك أن المولى عز وجل بين فيه انواع الحق وكشف أدلته «٣» .

ومن الناس من قال : القرآن تبيان لكل شيء ، وذلك لأن العلوم اما دينيه أو غير دينية ، اما العلوم التى ليست دينية فلا تعلق لها بهذه الآية لأن من المعلوم بالضرورة أن الله تعالى انما مدح القرآن بكونه مشتملا على علوم الدين فأما ما لا يكون من علوم الدين فلا التفات إليه ، وأما علوم الدين فاما الأصول واما الفروع ، اما علم الأصول «٤» فهو بتمامه موجود فى القرآن ، وأما علم الفروع فالأصل برائة الذمة إلا ماورد على سبيل التفصيل فى هذا الكتاب وذلك يدل على انه لاتكليف من الله تعالى إلا ماورد على سبيل التفضيل فى هذا الكتاب ، وذلك يدل على انه لا تكليف من الله تعالى إلا ماورد على سبيل التفضيل فى هذا الكتاب ، وذلك يدل على انه لا تكليف من الله تعالى إلا ماورد فى هذا القرآن ، وإذا كان كذلك كان القول بالقياس باطلا ، وكان القرآن وافيا ببيان كل الأحكام . وأما الفقهاء فيما بينهم قالوا : القرآن إنما كان تبيانا لكل شيء ، لأنه يدل على أن الاجماع وخبر الواحد والقياس حجة ، فإذا ثبت حكم من الأحكام بأحد هذه الأصول كان ذلك الحكم ثابتا بالقرآن «٥» .

---

(١) التفسير الكبير للرازى ج ٩ / ١٣ .
(٢) النحل / ٨٩ .
(٣) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج ١ / ٢٧٩ .
(٤) أى علم أصول الفقه .
(٥) التفسير الكبير للرازى ج ٢٠ / ١٠١ - ١٠٢ .

وبحق فإن القرآن الكريم فيه علاج لكل مشكلة ، يقول الشافعي رضي الله عنه « فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها ، قال الله تعالى « كتاب انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » (١) وقال عز اسمه « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » (٢) ، (٣) .

والكتاب كلي الشريعة ، وعمدة الملة ، وينبوع الحكمة ، وآية الرسالة نور الأبصار والبصائر ، وانه لاطريق إلى الله سواه ، ولا نجاة بغيره ولا تمسك بشيء يخالفه ، وإذا كان كذلك لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها واللحاق بأهلها ان يتخذه سميره وانيسه ، وان يجعله جليسه على مر الأيام والليالي نظرا وعملا .

وتعريف القرآن الكريم بالأحكام الشرعية كلي لا جزئي ، وحيث جاء جزئيا فمأخذه على الكلية اما بالاعتبار ، أو بمعنى الصل إلا ماخصه الدليل ، مثل خصائص النبي صلى الله عليه وسلم ، ويدل على هذا المعنى - بعد الاستقراء المعتبر - أنه محتاج إلى كثير من البيان ، فأن السنة على كثرتها وكثرة مسائلها إنما هي بيان للكتاب ، وقد قال الله تعالى « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » (٤) ، (٥) .

---

(١) إبراهيم / ١ .
(٢) النحل / ٨٩ .
(٣) الرسالة للشافعي تحقيق الكيلاني ص ١٤ - ١٤ .
(٤) النحل / ٤٤ .
(٥) الموافقات للشاطبي ج ٣ / ٣٦٤٦ .

١٦ - القول الفصل :

قال الله تعالى « إنه لقول فصل » (١) أى أن القرآن يفصل بين الحق والباطل وفى حديث أخرجه الترمذى عن الحارث الأعور عن على رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انها ستكون فتنة ، قلت ، فما المخرج منها يارسول الله قال : كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ فيه الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق عن الرد ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن لما سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد من قال به صدق ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ومن هدى به ، هدى إلى صراط مستقيم » (٢) .

وقيل المراد بالقول الفصل ، ماتقدم من الوعيد فى هذه السورة من قوله تعالى « انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر » (٣).

والذى يبدو لى أن الضمير فى قوله « إنه » أى القرآن الذى من جملته هذه الآيات الناطقة بمبدأ حال الإنسان ومعاده ، وعلى هذا فإن القرآن فاصل بين الحق والباطل ، كما قيل له فرقان ، وهو أولى من جعل الضمير راجعا لما تقدم ، أى ما أخبرتكم به من قدرتى على أحيائكم ، لأن القرآن يتناول ذلك تناولا أوليا .

---

(١) الطارق / ١٣ .

(٢) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ج ١/٩١ والاتقان فى علوم القرآن ج ١/ ١٤٤ تحقيق محمد ابو الفضل

(٣) الطارق / ٨ - ٩ .

١٧ - القول الثقيل :

قال الله جل ثناؤه « إنا سنلقي علـيـك قـولا ثقيلا » (١) ذكروا في تفسير الثقيل وجوها :

أحدها ، المراد بالقول الثقيـل القرآن وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين عامة ، وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، لأنه يتحملها بنفسه ويبلغها الى امته . وحاصلة ان ثقله راجع إلى ثقل العمل به ، فإنه لا معنى للتكليف إلا إلزام ما في فعله كلفة ومشقة (٢) .

وثانيها : قال القرطبي : ثقله على الكفار والمنافقيـن بإعجـازه ووعيده (٣) .

وثالثها : أن المراد من كونه ثقيلا - وهو المختار عند الرازي - عظم قدره وجلالة خطره ، وكل شيء نفس وعظم خطره ، فهو ثقيل وثقيل وثاقل ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء « قولا ثقيلا » يعني كلاما عظيما . ووجه النظم انه تعالى لما أمر بصلاة الليل ، لأنا سنلقي عليك قولا عظيما ، فلابد وأن تسعى في صيرورة نفسك مستعدة لذلك القول العظيم ، ولا يحصل ذلك الاستعداد إلا بصلاة الليل ، فإن الإنسان في الليلة الظلماء إذا اشتغل بعبادة الله تعالى واقبل على ذكره ، والثناء عليه ،

---

(١) المزمل / ٥ .
(٢) الجامع الأحكام القرآن للقرطبي ج ٣٠ / ١١ . وروح المعاني للألوس ج ٣٠/ ١٣٨ .
(٣) التفسير لكبير للرازي ج ٣٠ / ١٧٤ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٩ / ٣٨ .

والتضرع بين يديه ، ولم يكن هناك شيء من الشواغل المفسدة ، والعوائق الجسمانية استمدت النفس هنالك لاشراق جلال الله فيها ، وتهيأت للتجرد التام والانكشاف الأعظم بحسب الطاقة البشرية ، فلما كان لصلاة الليل أثر في صيرورة النفس مستعدة لهذا المعنى ، لا جرم قال ، انى انما أمرتك بصلاة الليل ، لأنا سنلقى عليك قولا ثقيلا فصير نفسك مستعده لقبول ذلك المعنى ، وتمام هذا المعنى ماقاله صلى الله عليه وسلم ، " إن لربكم في أيام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها » (١) .

رابعا ، روى عن الحسن ، أنه ثقيل في الميزان يوم القيامة ، وهو إشارة إلى كثرة منافعه ، وكثرة الثواب في العمل به .

خامسا ، أن الثقيل من شأنه أن يبقى في مكانه ولا يزول ، فجعل الثقيل كناية عن بقاء القرآن على وجه الدهر ، كما قال « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (٢) .

سادسا ، أنه ثقيل ، بمعنى أن العقل الواحد لا يفي بادراك فوائده ومعانيه بالكلية ، فالمتكلمون غاصوا في بحار معقولاته ، والفقهاء اقبلوا على البحث عن أحكامه ، وكذا أهل اللغة والنحو وأرباب المعاني ، ثم لايزال كل متأخر يفوز منه فوائد ماوصل اليها المتقدمون ، فعلمنا أن الانسان الواحد لايقوى على الاستقلال بحمله ، فصار كالحمل الثقيل الذى يعجز الخلق عن حمله .

---

(١) التفسير الكبير ج ٣٠ / ١٧٤ .
(٢) الحجر / ٩ .

سابعا : أنه ثقيل ، لكونه مشتملا على المحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ ، والفرق بين هذه الأقسام مما لايقدر عليه الا العلماء الراسخون ، المحيطون بجميع العلوم العقلية والحكمية ، فلما كان كذلك لا جرم كانت الإحاطة به ثقيلة على أكثر الخلق (١) .

ثامنا : وقيل : ثقيل تلقيه يعني يثقل عليه صلى الله عليه وسلم والوحي به بواسطة الملك ، فانه كان يوحى اليه صلى الله عليه وسلم على انحاء منها :

منها : أن لا يتمثل له الملك ويخاطبه بل يعرض له عليه الصلاة والسلام كالغشى لشدة انجذاب روحه الشريفة للملأ الأعلى بحيث يسمع مايوحى به إليه ويشاهده ويجيبه هو عليه الصلاة والسلام دون من معه ، وفي هذه الحالة كان يحس في بدنه ثقلا حتى كادت فخذه صلى الله عليه وسلم أن ترض فخذ زيد بن حارثة وقد كانت عليها وهو يوحى إليه .

واخرج احمد وابن جرير والحاكم وصححه عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرانها فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه ، وتلت : إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا » (٢) .

وروى الشيخان ومالك والترمذى عنها انها قالت : « ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه

---

(١) التفسير الكبير للرازى ج ٣٠ / ١٧٤ .
(٢) أخرجه أحمد .

وان جبينه ليتفصد عرقا » (١) . وعلى هذا الوجه يجوز أن ثقيلا صفة لمصدر حذف فأقيم مقامه وانتصب انتصابه ، أى القاء ثقيلا ، وليس صفة قولا (٢) .

واستدل بالآية على انه لاينبغي أن يقال : سورة خفيفة لما ان الله تعالى سمى فيها القرآن كله « قولا ثقيلا » وهذا من باب الاحتياط كما لايخفى (٣) .

١٨ - حبل الله :

قال الله تعالى « واعتصموا بحبل الله » (٤) قال ابن مسعود رضى الله عنه ، حبل الله القرآن . وروواه على وأبو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن مجاهد وقتادة مثل ذلك ، وأبو معاوية عن الهجرى عن أبي الأحوص عن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، " ان هذا القرآن هو حبل الله " (٥) .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما المراد بالحبل هاهنا ، العهد المذكور فى قوله تعالى « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم » (٦) وقال « إلا بحبل من الله وحبل من

---

(١) البخارى فى كتاب بدأ الوحى ، وفى باب حدثنا عبد الله بن يوسف ومسلم فى ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٢٣ - باب عرق النبى صلى الله عليه وسلم فى البرد ، وحين يأتيه الوحى حديث رقم ٨٧ ، ومالك فى الموطأ فى كتاب القرآن ، باب ماجاء فى القرآن ج ١ / ٢٠٣ .
(٢) روح المعانى للألوسى ج ٢٩ / ١٣١ .
(٣) روح المعانى للألوسى ج ٢٩ / ١٣١ .
(٤) آل عمران / ١٠٣ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٤ / ١٥٨ - ١٥٩
(٦) النحل / ٩١ .

الناس » (١) . أي بعهد ، وإنما سمي العهد حبلا ، لأنه يزيل عنه الخوف من الذهاب الى أي موضع شاء ، وكان كالحبل الذي من تمسك به زال عنه الخوف .

وقيل : هو طاعة الله ، وقيل هي إخلاص التوبة ، وقيل : الجماعة ، لأنه تعالى ذكر عقيب ذلك قوله « ولا تفرقوا » (٢) وقيل : هي الاسلام (٣) .

قال الرازي : والتحقيق ماذكرنا انه لما كان النازل في البئر يعتصم بحبل تحرزا من السقوط فيها ، وكان كتاب الله وعهده ودينه وطاعته وموافقته لجماعة المؤمنين حرزا لصاحبه من السقوط في قعر جهنم جعل ذلك حبلا لله ، وأمروا بالاعتصام به (٤) .

قال القرطبي : الحبل لفظ مشترك ، وأصله في اللغة السبب الذي يوصل به إلى البغية والحاجة ، والحبل : حبل العاتق ، والحبل مستطيل من الرمل ، ومنه الحديث « والله ماتركت من حبل إلا وقفت عليه ، فهل لي من حج » ، والحبل الرسن ، والحبل العهد ، قال الأعشى :

وإذا تجوزها حبال قبيلة * اخذت من الأخرى إليك حبالها

والحبل الداهية ، قال ابن كثير :

فلا تعجلي ياعز أن تتفهمي * بنصح اتى الواشون أم بحبول

والحبالة : حبالة الصائد ، وكلها ليس مرادا في الآية إلا الذي بمعنى العهد (٥) .

---

(١) آل عمران / ١١٣ .
(٢) التفسير الكبير للرازي ج ٨ / ١٧٧ .
(٣) جامع البيان في تفسير القرآن ج ٤ / ٢١ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٤ / ١٥٨ .
(٥) التفسير الكبير ج ٨ / ١٧٨ .

مما سبق يمكن ان نقول إن الحبل فى القرآن الكريم قد ورد على عدة أوجه هى :

١ - العهد والميثاق وهو اختيار ابن عباس ، أو مجاز عن القرآن وهو رأى ابن مسعود « واعتصموا بحبل الله جميعا ».

٢ - الإسلام والإيمان ، وبه فسر ابن عباس قوله تعالى « إلا بحبل من الله » (١) .

٣ - الحبل على الحقيقة ، وهو المفتول على طاقين أو أكثر من ليف أو نحوه ، قال تعالى : « فالقوا حبالهم وعصيهم » (٢) وأما قوله تعالى « فى جيدها حبل من مسد » (٣) فقيل على الحقيقة بدليل « من مسد » ، وقيل على المجاز ، فهى استعارة (٤) .

١٩ - الحجة البالغة :

قال الله تعالى ذكره « قل فلله الحجة البالغة » (٥) ، (٦) .

٢٠ - الآيات البينات :

قال الله تعالى « وكذلك أنزلناه آيات بينات » (٧) ، (٨) .

---

(١) آل عمران / ١١٢ . (٢) الشعراء / ٤٤ .
(٣) المسد / ٥ .
(٤) روح المعانى للآلوسى ج ٣٠ / ٣٣٨ .
(٥) الأنعام / ١٤٩ .
(٦) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ج ١ / ٩٣
(٧) الحج / ١٦ . (٨) القرطبى ج ١٢ / ٢٢ .

قال الله جل شناؤه : ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينت وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ (١) ، (٢) .

الأظهر أن المراد من الآيات البينات ، آيات القرآن الذى لا ياتى بمثله الجن والانس ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

وقال بعضهم لا يمتنع أن يكون المراد من الآيات البينات القرآن مع سائر المعجزات نحو اشباع الخلق الكثير من الطعام القليل ، ونبوع الماء من بين أصابعه ، وانشقاق القمر .

والأولى تخصيص ذلك بالقرآن ، لأن الآيات إذا قرنت إلى التنزيل كانت أخص بالقرآن (٣) .

والوجه فى تسمية القرآن بالآيات وجوه :

أحدها : أن الآية هى الدالة ، وإذا كانت ابعاض القرآن دالة بفصاحتها على صدق المدعى كانت آيات .

وثانيها : أن منها مايدل على الاخبار عن الغيوب فهى دالة على تلك الغيوب .

وثالثها : أنها دالة على دلائل التوحيد والنبوة والشرائع ، فهى آيات من هذه الجهة .

وأورد على ذلك أن الدليل لايكون إلا بينا فما معنى وصف الآيات بكونها بنية ، وليس لأحد أن يقول المراد كون بعضها ابين من بعض ، لأن هذا انما يصح لو امكن فى العلوم أن يكون بعضها أقوى من بعض وذلك محال ، وذلك لأن العالم

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ج ١ / ٩٣
(٢) البقرة / ٩٩ .
(٣) التفسير الكبير للرازى ج / ٢١٥ .

بالشيء اما أن يحصل معه تجويز نقيض ما اعتقده أو لا يحصل . فان حصل معه ذلك التجويز لم يكن ذلك الاعتقاد علما ، وان لم يحصل استحال أن يكون شيء آخر آكد منه .

واجيب عن ذلك بان التفاوت لا يقع في نفس العلم بل في طريقه ، فان العلوم تنقسم إلى مايكون طريق تحصيله والدليل الدال عليه اكثر مقدمات فيكون الوصول إليه اصعب ، وإلى مايكون اقل مقدمات فيكون الوصول اليه اقرب ، وهذا هو الآية البينة .

٣١ - اللسان العربي :

قال الله تعالى « لسان الذى يلحدون إليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين » (١) .

الإلحاد ، الميل ، يقال ، لحد والحد ، أى مال عن القصد .

وقرأ حمزة « يلحدون » بفتح الياء والحاء ، أى لسان الذى يميلون اليه ويشيرون أعجمى . والعجمة ، الاخفاء وضد البيان ، ورجل اعجم وامرأة عجماء ، أى لا يفصح ، ومنه عجم الذنب لاستتاره والعجماء ، البهيمة ، لأنها لا توضح عن نفسها ، واعجمت الكتاب أى ازلت عجمته ، والعرب تسمى كل من لايعرف لغتهم ولا يتكلم بكلامهم اعجميا .

وقال الفراء ، الأعجم الذى فى لسانه عجمة وان كان من العرب ، والأعجمى ، أو العجمى الذى أصله من العجم ، وكذلك الأعجم والأعجمى المنسوب إلى العجم وإن كان فصيحا .

واراد باللسان ، القرآن ، لأن العرب تقول للقصيدة والبيت لسانا ، قال الشاعر ،

---

(١) النحل / ١٠٣ .

لسان الذى تهديها الينا * وخنت وما حسبتك أن تخونا
يعني باللسان القصيدة ، « وهذا لسان عربى مبين » أى افصح مايكون من العربية (١) .

٣٢ - آيات الله (٢) :

قال الله تعالى « تلك آيات الله » (٣) .

٣٣ - أحسن الحديث :

قال الله جل ثناؤه : « الله نزل احسن الحديث كتابا » (٤) سماه حديثا ، لأن وصوله إليك حديث . ولأنه تعالى شبهه بما يتحدث به ، فإن الله خاطب به المكلفين (٥) .

٣٤ - الحديث :

قاله الله عز شانه « فبأى حديث بعده يؤمنون » (٦) غير ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون (٧) وعلى هذا فان ضمير « بعده » للقرآن على ماذهب إليه غالب المفسرون وهو معلوم من السياق .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٠ / ١٧٩ .
(٢) بصائر ذوى التمييز فى لطائف لكتاب العزيز ج ١/ ٩٢ والاتقان فى علوم القرآن ج ١ / ٩٢ .
(٣) البقرة / ٢٥٢ . (٤) الزمر / ٢٣ .
(٥) التفسير الكبير للرازى ج ٢ / ١٦ وبصائر ذوى التمييز ج ١ / ٩٢ . (٦) الأعراف / ١٨٥ .
(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٧ / ٣٣٤ . وقيل : الهاء للأمل على معنى بأى حديث بعد الأمل يؤمنون حين لا ينفع الإيمان ، لأن الآخرة ليست بدار تكليف . ينظر : روح المعانى للألوسى ج ٩ / ١٣٩ من المجلد الثالث .

٣٥ - الموعظة :

قال الله تعالى ذكره « يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم » (١) وهو فى الحقيقة موعظة ، لأن القائل هو الله تعالى ، والآخذ جبريل ، والمستملى محمد صلى الله عليه وسلم ، فكيف لا تقع به الموعظة (٢) .

٣٦ - الرحمة :

قال الله تعالى : « وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين » (٣) فقوله تعالى « ورحمة للمؤمنين » تفريج الكروب وتطهير العيوب ، وتكفير الذنوب مع ما تفضل به تعالى من الثواب في تلاوته ، كما روى الترمذى عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ، بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف » (٤) ، (٥) .

وعلى هذا فإن القرآن الكريم رحمة للمؤمنين - دون الكافرين به - لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله ويحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ، فيدخلهم بذلك الجنة ، وينجيهم من عذابه ، فهو لهم رحمة ونعمة من الله أنعم بها عليهم .

---

(١) يونس / ٥٧ .
(٢) التفسير الكبير للرازى ج ٢ / ١٦ .
(٣) الاسراء / ٨٢ .
(٤) أخرجه الترمذى رقم ٢٩١٢ فى ثواب القرآن ، باب فضل قراءة القرآن والصلاة وتعلمه ، باب ثواب قراءة القرآن وأبو داود رقم ١٤٥٦ فى الصلاة .
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٠ / ٣٢٠ .

يقول الرازى « وأما كونه رحمة للمؤمنين » فان الأرواح البشرية مرتضية بسبب العقائد الباطلة ، والأخلاق الفاسدة ، والقرآن قسمان بعضهما يفيد الخلاص عن شبهات الضالين وتمويهات المبطلين وهو الشفاء . وبعضها يفيد تعليم كيفية اكتساب العلوم العالية ، والأخلاق الفاضلة التى بها يصل الانسان الى جوارب العالمين ، والاختلاط بزمرة الملائكة المقربين وهو الرحمة ، ولما كان إزالة المرض مقدمة على السعى فى تكميل موجبات الصحة لا جرم بدأ الله تعالى فى هذه الآية بذكر الشفاء ثم اتبعه بذكر الرحمة ، ولما بين المولى عز وجل كون القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين بين كونه سببا للخسار والضلال فى حق الظالمين ، والمراد به المشركون وإنما كان كذلك ، لأن سماع القرآن يزيدهم غيظا وغضبا وحقدا وحسدا ، وهذه الأخلاق الذميمة تدعوهم إلى الأعمال الباطلة وتزيد فى تقوية تلك الأخلاق الفاسدة فى جواهر نفوسهم ، ثم لا يزال الخلق الخبيث النفسانى يحمل على الأعمال الفاسدة والإتيان بتلك الأعمال يقوى تلك الأخلاق ، فبهذا الطريق يصير القرآن سببا لتزايد هؤلاء المشركين الضالين فى درجات الخزن والضلال والفساد والنكال » (1) .

٣٧ - الحق :

قال الله تعالى « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم » (2) أى « قل » يا أيها الرسول مخاطبا لأولئك الكفرة بعد ما بلغتهم ما أوحى اليك او للمكلفين مطلقا « يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم » وهو القرآن العظيم الظاهر الدلالة ، المشتمل على محاسن الأحكام التى من جملتها اصول الدين وما اطلعتم عليه مافى تضاعيفه من البينات والهدى ، ولم

---

(1) التفسير الكبير للرازى ج ٢١ / ٣٦ من المجلد الحادى عشر .

(2) يونس / ١٠٨ .

يبق لكم العذر (١) .

والقرآن حق ، قال عز شانه « وانه لحق اليقين » (٢) فسماه الله حقا ، لأنه ضد الباطل فيزيل الباطل ، كما قال جل ثناؤه : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » (٣) أى ذاهب زائل (٤) .

وقد قال الله عز وجل للرسول صلى الله عليه وسلم « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » (٥) أى قل يامحمد لهؤلاء المشركين الذين كادوا أن يستفزوك من الأرض ليخرجوك منها جاء الحق وهو القرآن وزهق الباطل وهو الشيطان (٦) .

وقد قال عز شانه « افمن يعلم انما انزل إليك من ربك (٧) الحق (٨) الذى لاحق وراءه .

---

(١) روح المعانى للألوسى ج ١١ / ٢٠١ . من المجلد الرابع وقيل المراد من (الحق) النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيه من المبالغة مالا يخفى .

(٢) الحاقة / ٥١ . (٣) الانبياء / ١٨ .

(٤) التفسير الكبير للرازى ج ٢ / ١٩ من المجلد الأول .

(٥) الاسراء / ٨١ .

(٦) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ١٥ / ١٠٣ من المجلد الثامن .

(٧) من القرآن الذى مثل بالماء المنزل من السماء والا بريز الخالص فى المنفعة والجدوى .

(٨) الرعد / ١٩ .

٣٨ - الرسالة (١) :

قال الله تعالى « وإن لم تفعل فما بلغت رسالته (٢) ، (٣)
وهذا وعيد على تقدير عدم التبليغ ، وفي ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان :

أحدهما : أن المعنى ان تركت منه شيئا ، فكأنك لم تبلغ شيئا ، وصار ما بلغت لايعتد به ، فمعنى « ان لم تفعل » ان لم تستوف التبليغ على الكمال .

والآخر : أن المعنى ان لم تبلغ الرسالة وجب عليك عقاب من كتمها ، ووضع السبب موضع المسبب (٤) .

٣٩ - منادى الايمان :

قال الله تعالى « ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للايمان » (٥) ،(٦) .
فالمنادى هو القرآن ، لأنه تعالى حكى عن مؤمنى الانس ذلك كما حكى عن مؤمنى الجن قوله « إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به » (٧) .

والدليل على ان تفسير الآية بهذا الوجه أولى أنه ليس كل أحد لقى النبى صلى الله عليه وسلم ، أما القرآن فكل أحد

---

(١) ورد لفظ الرسالة ومشتقاته فى القرآن الكريم ٥١٣ مرة .
(٢) المائدة / ٦٧ .
(٣) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ج ١ / ٩٣
(٤) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ج ١ / ١٧٣ .
(٥) آل عمران / ١٩٣ .
(٦) التفسير الكبير للرازى ج ٩ / ١٤٩ .
(٧) الجن / ١ .

سمعه وفهمه . وهذا وان كان مجازا الا انه مجاز متعارف ، لأن القرآن لما كان مشتملا على الرشد ، وكان كل من تأمله وصل به الى الهدى اذا وفقه الله تعالى لذلك ، فصار كأنه يدعو إلى نفسه وينادى بما فيه من أنواع الدلائل ، كما قيل فى جهنم « تدعو من أدبر وتولى » (١) اذ كان مصيرهم إليها ، والفصحاء ، والشعراء يصفون الدهر بأنه يناوى وينطق ، ومرادهم منها دلالة تصاريف الزمان ، قال الشاعر :

ياواضع الميت فى قبره * خاطبك الدهر فلم تسمع (٢)

وقيل إن المنادى هو الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو قول الأكثرين - والدليل عليه قوله تعالى « ادع إلى سبيل ربك » (٣) و « داعيا إلى الله بإذنه » (٤) .

٣٠ - الحكم :

فى الاتقان ، حكم الله ، قال الله تعالى « وكذلك أنزلناه حكما عربيا » (٥) أى كما أنزلنا عليك القرآن فأنكره بعض الأحزاب كذلك أنزلناه حكما عربيا ، وإنما وصفه بذلك لأنه أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم وهو عربى ، فكذب الأحزاب بهذا الحكم أيضا .

وقيل نظم الآية ، وكما أنزلنا الكتب على الرسل بلغاتهم كذلك أنزلنا اليك القرآن حكما عربيا ، أى بلسان العرب ، ويريد بالحكم مافيه من الأحكام .

---

(١) المعارج / ١٧ .
(٢) التفسير الكبير للرازى ج ٩ / ١٤٩ .
(٣) النحل / ١٢٥ .
(٤) الأحزاب / ٤٦ .
(٥) الرعد / ٣٧ .
هذا وقد وردت مادة "حكم" ومشتقاتها فى القرآن الكريم ٢١٠

وقيل أراد بالحكم العربي ، القرآن كله ، لأنه يفصل بين الحق والباطل ويحكم (١) .

وعلى هذا فان المولى عز وجل قد شبه إنزاله حكما عربيا بما أنزل الى من تقدم من الانبياء ، اى كما انزلنا الكتب على الأنبياء بلسانهم ، كذلك انزلنا عليك القرآن .

والكناية في قوله « انزلناه » تعود إلى « ما » في قوله عز شأنه : « يفرحون بما انزل إليك » (٢) يعني القرآن .

وهذا والقرآن الكريم مشتمل على جميع اقسام التكاليف ، فالحكم لايمكن إلا بالقرآن ، فلما كان القرآن سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة .

وانه تبارك وتعالى حكم على جميع المكلفين بقبول القرآن والعمل به ، فلما حكم على الخلق بوجوب قبوله جعله حكما .

وقد قالت المعتزلة : إن الآية دالة على حدوث القرآن من وجوه :

الأول : أنه تعالى وصفه بكونه منزلا وذلك لا يليق الا بالمحدث .

الثاني : أنه وصفه بكونه عربيا ، والعربي هو الذى حصل بوضع العرب واصطلاحهم وما كان كذلك كان محدثا .

الثالث : أن الآية دالة على أنه انما كان حكما عربيا ، لأن الله تعالى جعله كذلك ووصفه بهذه الصفة ، وكل ماكان كذلك فهو محدث .

---

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج ٩ / ٣٢٦ - ٣٢٧ .
(٢) الرعد / ٣٦ .

والجواب : أن كل هذه الوجوه دالة على أن المركب من الحروف والأصوات محدث ولا نزاع فيه والله أعلم (١) .

ونصب « حكما » على الحال من منصوب « أنزلناه » ، وإذا أريد به حاكما كان هناك مجاز في النسبة كما لا يخفى .

ونصب « عربيا » على الحال أيضا اما من ضمير «انزلناه » كالحال الأولى فتكون حالا مترادفة ، أو من المستتر في الأولى فتكون حالا متداخلة . ويصح أن يكون وصفا - لحكما - الحال ، وهي موطئة وهي الاسم الجامد الواقع حالا لوصفه بمشتق وهو الحال في الحقيقة . والأول أولى ، لأن « حكما » مقصود بالحالية هنا ، والحال الموطئة لا تقصد بالذات .

واختار الطبرى أن معنى حكما حكمه ، كما في قوله تعالى « وآتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » (٢) ، ونصبه على الحال أيضا (٣) .

وقد سمي القرآن الكريم حكما ، ولم يسم « حاكما » للإشارة إلى ان القرآن الكريم إنما هو حكم صدر من حاكم حكيم ، وهو المولى جل ثناؤه .

٣١ - حكمة بالغة :

في البصائر (٤) : الحكمة ، قال الله تعالى « حكمة بالغة

---

(١) التفسير الكبير ج ١٩ / ٦٣ . من المجلد العاشر .
(٢) الأنعام / ٨٩ .
(٣) روح المعاني للألوسي ج ١٣ / ١٦٧ من المجلد الخامس .
(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج ١ / ٩٢

فما تغني النذر » (١) يعنى القرآن (٢) فهو « حكمة بالغة » أى واصلة غاية الإحكام لاخلل فيها .

ورفع « حكمة » على أنها بدل اشتمال أو كل من « ما » وقيل من : « مزدجر » ، أو خبر مبتدأ محذوف ، أى هى ، أو هذه على أن الإشارة لما يشعر به الكلام من إرسال الموسل وإيضاح الدليل والإنذار لمن مضى ، أو إلى مافى الأنباء ، أو إلى الساعة المقتربة .

وقرىء « حكمة بالغة » بالنصب حالا من « ما » فانها موصولة أو نكرة موصوفة ، ويجوز مجيء الحال منها مع تأخسرها ، أو هو بتقدير أعنى (٣) .

٣٣ - الصدق :

قال الله تعالى « والذى جاء بالصدق وصدق به » (٤) واختلف فى الذى جاء بالصدق وصدق به على النحو الآتى :

فقال على رضى الله عنه : « الذى جاء بالصدق » النبى صلى الله عليه وسلم « وصدق به » أبو بكر رضى الله عنه .

وقال السدى : « الذى جاء بالصدق » جبريل عليه السلام ، والذى صدق به محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن زيد ومقاتل وقتادة : « الذى جاء بالصدق »

---

(١) القمر / ٥ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٧ / ١٣٨ .
(٣) روح المعانى للآلوسى ج ٢٧ / ٧٩ من المجلد التاسع والتفسير الكبير للرازى ج ٢٩ / ٣٣ من المجلد الخامس .
(٤) الزمر / ٣٣ .

النبي صلى الله عليه وسلم ، وصدق به المؤمنون ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى « أولئك هم المتقون » كما قال عز شانه « هدى للمتقين » «١» .

وقال النخعي ومجاهد : « الذى جاء بالصدق وصدق به » المؤمنون الذى يجيئون بالقرآن يوم القيامة فيقولون : هذا الذى اعطيتمونا قد اتبعنا مافيه ، فيكون « الذى » على هذا بمعنى جمع ، كما تكون من بمعنى جمع . وقيل : بل حذفت منه النون لطول الاسم ، وتأوله الشعبي على أنه واحد ، وقال : « الذى جاء بالصدق » محمد صلى الله عليه وسلم فيكون على هذا خبره جماعة ، كما يقال لمن يعظم هو فعلوا ، وزيد فعلوا كذا «٢» .

وقيل : إن ذلك عام فى كل من دعا إلى توحيد الله عز وجل ، قاله ابن عباس وغيره ، واختاره الطبرى «٣» .

قال الزمخشرى : « هو الذى جاء بالصدق وصدق به » هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالصدق وآمن به وأراد به إياه ومن تبعه ، كما أراد بموسى إياه وقومه فى قوله تعالى « ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون » «٤» ولذلك قال : « أولئك هم المتقون » ، إلا أن هذا فى الصفة وذلك فى الاسم .

ويجوز أن يريد والفوج والفريق « الذى جاء بالصدق وصدق به » وهو الرسول الذى جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا

---

(١) البقرة / ٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٥ / ٢٥٦ والبحر المحيط ج ٧ / ٤٢٨ .

(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ٢٤ / ٣ .

(٤) المؤمنون / ٤٩ .

به (١) .

وقال ابو حيان معقبا على قول الزمخشرى « وقوله : واراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه ، استعمل الضمير المنفصل فى غير موضعه وإنما هو متصل فاصلاحه واراده به ومن تبعه كما أراده بموسى وقومه اى لعل قومه يهتدون ، إذ موسى عليه السلام مهتد ، فالمترجى هداية قومه لا هدايته ، إذ لايترجى إلا ماكان مفقودا لا موجودا .

وقوله : ويجوز الخ فيه توزيع الصلة والفوج هو الموصول فهو كقوله : « جاء الفريق الذى شرف وشرف » ، والاظهر عدم التوزيع ، بل المعطوف على الصلة صلة لمن له الصلة الأولى (٢) .

والذى نخلص اليه أن قوله تعالى « والذى جاء بالصدق وصدق به » فيه قولان :
الأول : أن المراد شخص واحد ، فالذى جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم ، والذى صدق به هو أبو بكر .

والثانى : أن المراد منه كل من جاء بالصدق ، فالذى جاء بالصدق الأنبياء والذى صدق به الأتباع ، واحتج القائلون بهذا القول بأن الذى جاء بالصدق جماعة وإلا لم يجز أن يقال « أولئك هم المتقون » .

٣٣ - البصائر :

قال الله تعالى « هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم

---

(١) الكشاف ج ٣ / ٣٩٨ .
(٢) البحر المحيط ج ٧ / ٤٢٨ .

يؤمنون » (١) يعنى القرآن ، جمع بصيرة هى الدلالة والعبره ، اى هذا الذى دللتكم به على ان الله عز وجل واحد " بصائر ، اى يستبصر بها .

وقال الزجاج : « بصائر » اى طرق ، والبصائر طرق الدين ، قال الجعفى :
راحوا بصائرهم على اكتافهم * وبصيرتى يعدو بها عتد وأى (٢)

وعلى هذا فان اصل البصيرة الابصار ، ولما كان القرآن سببا لبصائر العقول فى دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ، اطلق عليه لفظ البصيرة تسمية للسبب باسم المسبب .

وجوز أن تكون البصائر مستعارة لارشاد القرآن الخلق الى ادراك الحقائق .

او هو بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب ، أو حج بنية وبراعين نيره تغنى عن غيرها ، فالكلام خارج مخرج التشبيه البليغ .

و « هذا » : مبتدأ و « بصائر » خبره ، وجمع خبر الـــمفرد لاشتماله عـلى آيات وســور جمـل كل منها بصـيرة .

---

(١) الاعراف / ٢٠٣ وقد لفظ (البصائر) ومشتقاته فى القرآن الكريم ١٤٨ مرة .

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج ٧ / ٣٥٣ والتفسير الكبير للرازى ج ١٥ / ١٠٦ من المجلد الثامن . يقول : انهم تركوا دم ابيهم وجعلوه خلفهم ، اى لم يثأروا به وأنا طلبت ثأوى . والعتد : بفتح التاء وكسرها : الفرس التام الخلق السريع الوثبة معد للجرى ليس فيه اضطراب ولا رخاوة ، والوأى : بفتح الواو والمد : الفرس السريع المقتدر الخلق .

و « من » متعلقة بمحذوف وقع صفة لبصائر مفيدة لفخامتها ، أى بصائر كائنة منه تعالى ، والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتاكد وجوب الإيمان بها .

وقوله سبحانه وتعالى « وهدى ورحمة » عطف على بصائر ، وتنوينهما للتفخيم ، وتقديم الظرف عليهما وتعقيبهما بقوله تعالى « لقوم يؤمنون » للايذان بان كون القرآن بصائر متحقق بالنسبة الى الكل ، وبه تقوم الحجة على الجميع ، واما كونه « هدى ورحمة » فمختص بالمؤمنين اذ هم المقتبسون من انواره والمقتطفون من نوره . وهذا مخالف لما يفهمه كلام البعض من أن الثلاثة للمؤمنين فقد قال النيسابورى ، ان البصائر لأصحاب عين اليقين والهدى لأرباب علم اليقين ، والرحمة لغيرهم من الصالحين المقلدين على أتم وجه والجميع لقوم يؤمنون ، وهو خلاف الظاهر ، بل لا يكاد يسلم (١) .

٣٤ - التبصرة :

قال الله جل ثناؤه « تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » (٢) ، (٣) .

ويحتمل أن يكون الأمران عائدين الى الأمرين المذكورين وهما السماء والأرض ، على أن خلق السماء تبصرة ، وخلق الأرض ذكرى ، ويدل عليه أن السماء زينتها غير مستجدة فى كل عام ، فهى كالشىء المرئى على مرورالزمان ، وأما الأرض فهى كل سنة تأخذ زخرفها فذكر السماء تبصرة والأرض تذكرة .

ويحتمل أن يكون كل واحد من الأمرين موجودا فى كل

---

(١) روح المعانى للألوسى ج ٩ / ١٥٠ من المجلد الثالث .
(٢) قٓ / ٨ . (٣) بصائر ذوى التمييز ج ١ / ٩١ .

واحد من الأمرين فالسماء تبصرة والأرض كذلك .

والفرق بين التبصرة والتذكرة هو أن فيها آيات مستمرة منصوبة فى مقابلة البصائر وآيات متجددة مذكرة عند التناسى (١) .

وقرا الجمهور « تبصرة وذكرى » بالنصب ، وهما منصوبان بفعل مضمر من لفظهما ، أى بصر وذكر . وقيل مفعول لأجله .

وقرا زيد بن على « تبصرة » بالرفع وذكر معطوف عليه ، اى ذلك الخلق على ذلك الوصف تبصرة ، والمعنى تبصير بذلك ويتذكر كل عبد اى راجع الى ربه مفكر فى بدائع صنعه (٢) .

٣٥ - التصديق :

قال الله تعالى « ولكن تصديق الذى بين يديه » (٣) ، (٤) وذلك لأن محمدا صلى الله عليه وسلم كان رجلا أميا ماسافر إلى بلدة لأجل التعلم ، وماكانت مكة بلدة العلماء وما كان فيها شىء من كتب العلم ، ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القرآن ، فكان هذا القرآن مشتملا على اقاصيص الأولين ، والقوم كانوا فى غاية العداوة له ، فلو لم تكن هذه الأقاصيص موافقة لما فى التوراة والانجيل لقدحوا فيه ولبالغوا فى الطعن فيه ، ولقالوا انك جئت بهذه الأقاصيص لا كما ينبغى ، فلما لم يقل أحد ذلك مع شدة حرصهم على الطعن فيه ، وعلى تقبيح صورته ، علمنا انه أتى بتلك

---

(١) التفسير الكبير للرازى ج ٢٨/١٥٦ من المجلد الرابع عشر

(٢) البحر المحيط ج ٨ / ١٢١ .

(٣) يونس / ٣٧ .

(٤) بصائر ذوى التمييز ج ١ / ٩١ .

الأقانيم مطابقة لما في التوراة والانجيل ، مع انه ما طالعهما ولا تلمذ لأحد فيهما ، وذلك يدل على انه صلى الله عليه وسلم انما أخبر عن هذه الأشياء بوحي من قبل الله تعالى .

وايضا فان كتب الله المنزلة دلت على مقدم محمد صلى الله عليه وسلم ، واذا كان الأمر كذلك كان مجيء محمد صلى الله عليه وسلم تصديقا لما في تلك الكتب ، من البشارة بمجيئه صلى الله عليه وسلم ، فكان هذا عبارة عن تصديق الذى بين يديه .

كما انه صلى الله عليه وسلم اخبر في القرآن عن الغيوب الكثيرة في المستقبل ووقعت مطابقة لذلك الخبر ، كقوله تعالى « الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون » (١) وكقوله جل ثناؤه : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق » (٢) وكقوله عز وجل : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض » (٣) وذلك يدل على أن الاخبار عن هذه الغيوب المستقبلة ، انما حصلت بالوحي من الله تعالى ، فكان ذلك عبارة عن تصديق الذى بين يديه (٤) .

٣٦ - المنزل :

قال الله تعالى جل ثناؤه : « منزل من ربك بالحق » (٥) ، (٦) اى ان كل مافيه من الوعد والوعيد

---

(١) الروم / ١ - ٢ . (٢) الفتح / ٢٧ .
(٣) النور / ٥٥ .
(٤) التفسير الكبير للرازى ج ١٧ / ٩٩ من المجلد التاسع .
(٥) الأنعام / ١١٤ .
(٦) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج ١ / ٩١ .

لحق (١) .

يقول الشوكاني : إن الله عز وجل قد اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بان اهل الكتاب وان اظهروا الجحود والمكابرة ، فانهم يعلمون ان القرآن منزل من عند الله بما دلتهم عليه كتب الله المنزلة كالتوراة والانجيل من انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانه خاتم الأنبياء والمرسلين (٢) .

و (من) لابتداء الـغـاية مجازا ، وهي متعلقة ب (منزل) والباء للملابسة وهي متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في (منزل) اى متلبسا بالحق (٣) .

وعلى ضوء ماسبق يمكن ان نقول : إن الدليل على نبوته صلى الله عليه وسلم قد حصل بوجهين :

الأول :

ان الله تعالى قد حكم بنبوته - صلى الله عليه وسلم - من حيث انه انزل عليه الكتاب المبين المشتمل على العلوم الكثيرة والفصاحة الكاملة ، وقد عجز الخلق عن معارضته وأشار الى هذا الوجه بقوله عز وجل (أفغير الله أبتغي حكما) (٤) يعنى قل يامحمد انكم تحكمون في طلب سائر المعجزات فهل يجوز في العقل ان يطلب غير الله حكما ، فان كل أحد يقول : ان ذلك غير جائز .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٧ / ٧٠ وجامع البيان للطبري ج ٨ / ٧ من المجلد الخامس

(٢) فتح القدير للشوكاني ج ٢ / ١٥٥ .

(٣) روح المعاني للألوسي ج ٨ / ٩ من المجلد الثالث .

(٤) الأنعام / ١١٤ .

الوجه الثاني :

اشتمال التوراة والانجيل على أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ، وعلى أن القرآن كتاب حق من عند الله ، واشار إليه بقوله « والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق » (١) ، (٢) .

٣٧ ـ النبأ :

قال الله جل ثناؤه « قل هو نبأ عظيم » (٣) ، (٤) .
قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة رضي الله عنهما : يعني القرآن الذي انباكم به خبر جليل ، وقيل : عظيم المنفعة (٥) « أنتم عنه معرضون » (٦) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما ان قوله تعالى « هو » يرجع إلى القرآن ، واستشهد بآخر السورة ، وقال : انه يدخل ماذكر دخولا أوليا ، واختار كون هذه الجملة استئنافا ناعيا عليهم سوء حالهم بالنسبة إليه ، وانهم لا يقدرون قدره الجليل مع غاية عظمته الموجبة للإقبال عليه وتلقيه بحسن القبول ، وكان الكلام عليه ناظر الى مافي أول السورة من قوله تعالى : « والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة

(١) الأنعام / ١١٤ .
(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان بها مش جامع البيان للطبري ج ٨ / ٧ .
(٣) صٓ / ٦٧ .
(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج ١ / ٩١ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٥ / ٢٢٦ .
(٦) صٓ / ٦٨ .

وشقاق » (١) جيء به ليستدل على انه وارد من جهته تعالى بما يشير إليه قوله تعالى « ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون » (٢) حيث تضمن ذكر نبأ من انبائه على التفصيل من غير مسابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة كالنظر في الكتب الإلهية ، والسماع من الكتابيين ، وهو حجة بينة دالة على انه بطريق الوحي من عند الله تعالى ، وان سائر انبائه ايضا كذلك (٣) .

وروى عن ابن سيرين عن شريح ان رجلا قال له : اتقضي على بالنبا ؟ قال : فقال له شريح : او ليس القرآن نبا ، قال وتلا هذه الآية : « قل هو نبا عظيم » قال : وقضى عليه .

وعن السدى في قوله تعالى « قل هو نبأ عظيم » قال : القرآن ، وقوله : « أنتم عنه معرضون » يقول : أنتم عنه منصرفون لا تعلمون به ولا تصدقون بما فيه من حجج الله وآياته (٤) .

يقول الطبرى : يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لقومك المكذبين فيما جئتهم به من عند الله من هذا القرآن القائلين لك فيه « إن هذا إلا اختلاق » « هو نبأ عظيم » : يقول هذا القرآن خبر عظيم (٥) .

---

(١) التفسير الكبير للرازى ج ٢٦ / ٢٢٥ من المجلد الثالث عشر وروح المعاني للآلوسي ج ٢٣ / ٢٢٠ من المجلد الثامن .
(٢) ص / ٦٩ .
(٣) روح المعاني للآلوسي ج ٢٣ / ٢٢٠ .
(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ج ٢٣ / ١١٧ من المجلد العاشر .
(٥) السابق : جامع البيان ج ٢٣ / ١١٧ .

ويمكن أن يقال ، المراد أن القول بالنبوة نبأ عظيم .

ويمكن أن يكون المراد أن القول بأن الإله واحد نبأ عظيم (١) .

يقول الآلوسى : وأنت تعلم أن النبوة وكون القرآن وحيا من عند الله تعالى مثلا زمان ، متى ثبت أحدهما ثبت الآخر ، لكن يرجح جعل الآية فى النبوة ، وإشاعتها التوبيه وتقديم هذه الآية بنحو ما صدرت به الآية المتضمنة من دعوى النبوة قبلها من قوله تعالى « كل » ، فإن سلم لك هذا المرجح فذاك ، وإلا فلا تعدل عما روى عن ابن عباس ومن معه (٢) .

٣٨ ـ الوحى : (٣)

قال الله جل ثناؤه « قل انما أنذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون » (٤) أى أخوفكم وأحذركم بالقرآن (٥) الذى هو كلام ربكم فلا تظنوا أن ذلك من قبلى بل الله آتيكم به وأمرنى بإنذاركم ، فإذا قمت بما الزمنى ربى فلم يقع منكم القبول والإجابة فالوا بال عليكم يعود .

ومثلهم من حيث لم ينتفعوا بما سمعوا من إنذاره ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع كثرته وتواليه بالصم الذين لا يسمعون ، إذ الغرض بالإنذار ليس السماع بل التمسك به فى إقدام على واجب وتحرز عن محرم ومعرفة بالحق ، فإذا لم يحصل هذا الغرض من صار كأنه لم يسمع (٦) .

روى عن قتادة رضى الله عنه قوله : « قل إنما أنذركم

---

(١) روح المعانى للآلوسى ج ٢٣ / ٢٢٠ من المجلد الثامن .

(٢) نفسه .

(٣) روح المعانى للآلوسى ج ٢٣ / ٢٢٠ . (٤) الانبياء / ٤٥ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١١ / ١٩٢ .

(٦) التفسير الكبير للرازى ج ٢٢ / ١٧٥ .

بالوحي » أي بهذا القرآن «١» .

٣٩ - التذكرة :

قال الله تعالى : « إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا » «٢» ، «٣» يعني قال الطبري ، يعني تعالى ذكره بقوله « إن هذه تذكرة » الآيات التي ذكر فيها أمر القيامه واهوالها ، وما هو فاعل فيها بأهل الكفر « تذكرة » يقول عبرة وعظة لمن اعتبر بها واتعظ ، فمن شاء اتخذ إلى ربه طريقا بالإيمان به والعمل بطاعته «٤» .

روى عن قتادة رضى الله عنه : « ان هذه تذكرة » يعني القرآن ، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا بطاعة الله «٥» .

وقال ابو حيان : « إن هذه » اي السورة ، أو الانكال ، وما عطف عليه ، والأخذ الوبيل «٦» او آيات القرآن المتضمنة شدة القيامة تذكرة ، اى موعظة ، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا بالتقرب إليه بالطاعة ، ومفعول رشاد » محذوف يدل عليه الشرط ، لأن « من » شرطيه ، أي فمن شاء أن يتخذ سبيلا أتخذه الى ربه «٧» .

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ١٧ / ٣٢ .
(٢) المزمل / ١٩ والانسان / ٢٩ .
(٣) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ج ١ / ٩٠ .
(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ٢٩ / ٨٨ من المجلد الثانى عشر والكشاف ج ٤ / ١٧٨ وص / ٢٠١ .
(٥) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ٢٩ / ٨٨ .
(٦) قال تعالى : (ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا) المزمل : ١٢ - ١٤ .
(٧) البحر المحيط ج ٨ / ٣٦٦ .

قال الرازى ، والمعنى أن هذه السورة بما فيها من الترتيب العجيب والنسق البعيد ، والوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب تذكرة للمتأملين وتبصرة للمستبصرين ، فمن شاء الخيرة لنفسه فى الدنيا والآخرة اتخذ إلى ربه سبيلا واتخاذ السبيل إلى الله عبارة عن التقرب إليه . (١)

والذى نخلص إليه أن الإشارة بقوله عز وجل « إن هذه » إلى ماتقدم من الآيات ، والتذكرة الموعظة ، والاشارة إلى جميع آيات القرآن لا إلى مافى هذه السورة فقط .

٤٠ - التفسير :

قال الله جل ثناؤه « ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا » (٢) ، (٣) يعنى لو انزلنا عليك القرآن جملة واحدة ثم سألوك لم يكن عندك ماتجيب به ولكن نمسك عليك فإذا سألوك أجبت .

وكان ذلك من علامات النبوة ، لأنهم لا يسألونك عن شيء إلا أجيبوا عنه ، وهذا لا يكون إلا نبى ، فكان ذلك تثبيتا لفؤاده - صلى الله عليه وسلم - وأفئدتهم ، ولو نزل جملة بما فيه من الفرائض لثقل عليهم ، وعلم الله عز وجل ان الصلاح فى إنزاله متفرقا ، لأنهم ينبهون به مرة بعد مرة ولو نزل جملة واحدة لزال معنى التنبيه ، وفيه ناسخ ومنسوخ ، فكانوا يتعبدون بالشيء الى وقت بعينه قد علم الله عز وجل فيه الصلاح ، ثم ينزل النسخ بعد ذلك ، فمحال ان ينزل جملة واحدة ، افعلوا كذا ولا تفعلوا .

---

(١) التفسير الكبير للرازى ج ٣ / ٦٣ .
(٢) الفرقان / ٣٣ .
(٣) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ج ١ / ٩٠ .

وقال بعض العلماء : « وأحسن تفسيرا » أى تفصيلا ، والمعنى أحسن من مثلهم تفصيلا ، فحذف لعلم السامع .

وقيل كان المشركون يستمدون من أهل الكتاب وكان قد غلب على أهل الكتاب التحريف والتبديل ، فكان ما يأتى به النبى صلى الله عليه وسلم أحسن تفسيرا مما عندهم ، لأنهم كانوا يخلطون الحق بالباطل ، والحق المحض أحسن من حق مختلط بباطل ، ولهذا قال الله تعالى : « ولا تلبسوا الحق بالباطل » (١) .

٤ - العلي :

قال الله تعالى « وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم » (٢) ، (٣) أى عاليا عن وجوه الفساد والبطلان . وقيل المراد كونه عاليا على جميع الكتب بسبب كونه معجزا باقيا على وجه الدهر (٤) .

وعلى هذا فان قوله تعالى « وإنه فى أم الكتاب » المقصود به القرآن فى اللوح المحفوظ عندنا « لعلى حكيم » أى رفيع محكم لا يوجد فيه اختلاف ولا تناقض ، قال الله تعالى « إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون » (٥) وقال عز شأنه « بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ » (٦) ، (٧) .

---

(١) البقرة / ٤٢ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٣ / ٣٠ .
(٣) الزخرف / ٤ .
(٤) بصائر ذوى التمييز ج ١ / ٨٨ .
(٥) التفسير الكبير للرازى ج٢٧ / ١٩٥ من المجلد الرابع عشر .
(٦) الواقعة / ٧٧ .
(٧) البروج / ٢١ .
(٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٦ / ٦٢ .

وهذا تشريف للقرآن الكريم وترغيب له بكونه لديه عاليا على جميع الكتب السماوية ، أو محكما بكونه في غاية البلاغة والفصاحة وصحة المعاني .

٤٢ - العلم :

قال الله تعالى « ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير » «١» ، سئل أحمد بن حنبل يقول : القرآن مخلوق ، فقال : كافر ، فقيل : بم كفرته ؟ فقال : بآيات من كتاب الله تعالى « ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم » «٢» والقرآن من علم الله ، فمن زعم أنه مخلوق فقد كفر «٣» .

٤٣ - الغيب :

قال الله تعالى : « الذين يؤمنون بالغيب » «٤» ، «٥» .

والغيب مصدر أقيم مقام اسم الفاعل ، كالصوم بمعنى الصائم ، والزور بمعنى الزائر «٦» . وجعله بمعنى المفعول يرده كما في البحر ، أن الغيب مصدر غاب ، وهو لازم لايبنى منه اسم مفعول ، وجعله تفسيرا بالمعنى ، لأن الغائب بنفسه تكلف من غير داع أو يفعل خفف كقتيل وميت .

وفي البحر لا ينبغي أن يدعى ذلك إلا فيما سمع مخففا

---

(٢) البحر المحيط ج ٨ / ٥ .
(١) الرعد / ٣٧ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٢ / ٩٤
(٤) البقرة / ٣ .
(٥) بصائر ذوي التمييز ج ١ / ٩٣ .
(٦) التفسير الكبير للرازي ج ٢ / ٢٠ من المجلد الأول .

ومشقلا .

وفسره جمع هنا بما لايقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداهة العقل فمنه مالم ينصب عليه دليل وتفرد بعلمه اللطيف الخبير سبحانه وتعالى كعلم القدر مثلا ، ومنه مانصب عليه دليل كالحق تعالى وصفاته العلا ، فانه غيب يعلمه من اعطاه الله تعالى نورا على حسب ذلك النور فلهذا تجد الناس متفاوتين فيه ، ومن هنا قيل : الغيب مشاهدة الكل بين الحق فقد يمنح العبد قرب النوافل فيكون الحق سبحانه بصره الذى يبصر به وسمعه الذى يسمع به ويرقى من ذلك الى قرب الفرائض ، فيكون نورا ، فهناك يكون الغيب له شهودا ، والمفقود لدينا عنده موجودا ومع هذا لا أسوغ لمن وصل إلى ذلك المقام أن يقال فيه انه يعلم الغيب « قل لايعلم من فى السموات والأرض إلا الله » (١) ، (٢) .

واختلف العلماء في المراد به هنا على أقوال :

- فقالت فرقة : الغيب هنا فى الآية : الله سبحانه ، وضعفه ابن العربى .
- وقال آخرون : القضاء والقدر .
- وقال بعض العلماء القرآن وما فيه من الغيوب .
- وقال آخرون : الغيب كل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم مما لا تهتدى اليه العقول من أشراط الساعة وعذاب القبر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار .

قال ابن عطية : وهذه الأقوال لا تتعارض بل يقع الغيب

---

(١) روح المعانى للآلوسى ج ١ / ١١٤ من المجلد الأول .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١ / ١٦٣ وتفسير القرآن العظيم ج ١ / ٤١ .

على جميعها (١) .

قال القرطبى ، وهذا هو الإيمان الشرعى المشار إليه فى حديث جبريل عليه السلام حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم ، فأخبرنى عن الإيمان ، قال ، أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " قال ، صدقت وذكر الحديث (٢) .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، ما آمن مؤمن افضل من إيمان بغيب ، ثم قرأ (الذين يؤمنون بالغيب) .

وفى التنزيل (وما كنا غائبين) (٣) وقال عز شأنه (الذين يخشون ربهم بالغيب) (٤) فهو سبحانه غائب عن الأبصار ، غير مرئى فى هذه الذار ، غير غائب بالنظر والاستدلال فهم يؤمنون بان لهم ربا قادرا يجازى على الأعمال ، فهم يخشونه فى سرائرهم وخلواتهم التى يغيبون فيها عن الناس ، لعلمهم باطلاعه عليهم (٥) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١ / ١٦٣ وتفسير القرآن العظيم ج ١ / ٤١ .
(٢) اخرجه ، البخارى فى الإيمان باب سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم ج ١ / ١٠٦ و ١١٥ ومسلم فيه باب الاسلام والإحسان رقم ٩ و ١٠ وأبو داود فى السنة باب القدر رقم ٤٦٩٨ والنسائى فى الإيمان باب صفة الإيمان والإسلام ج ٨ / ١٠٨ .
(٣) الأعراف / ٧ .
(٤) الانبياء / ٤٩ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١ / ١٦٣ - ١٦٤ .

٤٤ - فضل الله :

قال الله عز شانه ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ (١) . قال أبو سعيد الخدرى وابن عباس رضى الله عنهما ، فضل الله القرآن ، ورحمته الإسلام .

وعنهما أيضا ، فضل الله القرآن ، ورحمته أن جعلكم من أهله (٢) عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، "فضل الله القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله" (٣) .

٤٥ - القسط :

قال الله جل ثناؤه ﴿ وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ﴾ (٤) وقد حمل الفيروز أبادى ﴿ القسط ﴾ على القرآن ، لأنه جاء بحكم القسط والعدل (٥) .

٤٦ - القصص :

قال الله تعالى ﴿ فاقصص القصص ﴾ (٦) ، (٧) .
وقال الرازى ، يريد قصص الذين كفروا وكذبوا

---

(١) يونس / ٥٨ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ / ٣٥٣ .
(٣) أخرجه ابن مردويه . ينظر روح المعانى للألوسى ج ١١ / ١٤١ من المجلد الرابع .
(٤) المائدة / ٤٢ .
(٥) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ج ١ / ٩٤ .
(٦) الأعراف / ١٧٦ .
(٧) بصائر ذوى التمييز ج ١ / ٩٣ .

أنبياءهم (١) .

« لعلهم يتفكرون » فيحذرون ويتعظون ، ويعلمون انك علمته من جهة الوحي ، فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما (٢) ، ولقد وصف الله عز وجل هذا القصص بانه « القصص الحق » .

قال الله تعالى ذكره « إن هذا لهو القصص الحق » (٣) .

قال القرطبي ، الإشارة فى قوله « إن هذا » إلى القرآن ، وما فيه من الأقاصيص ، سميت قصصا ، لأن المعانى تتابع فيها ، فهو من قولهم : فلان يقص اثر فلان ، أى يتبعه (٤) .

وقال أبو حيان ، الإشارة إلى القرآن على قول الجمهور ، والظاهر انه إشارة إلى ما تقدم من اخبار عيسى عليه السلام ، وكونه مخلوقا من غير اب ، قاله ابن عباس ، وابن زيد وغيرهم ، أى هذا هو الحق لا ما يدعيه النصارى فيه من كونه الها ، أو ابن الله ولا ما تدعيه اليهود فيه .

وقيل هذا إشارة إلى ما بعده من قوله « وما من إله إلا الله » ، ويضعف بأن هذه الجملة ليست بقصص ، وبوجود حرف العطف في قوله ، وما قال بعضهم إلا ان اراد بالقصص الخبر فيصح على هذا ، ويكون التقدير ، ان الخبر الحق انه ما من إله إلا الله . لكن يمنع من هذا التقدير وجود واو العطف واللام فى « لهو » ب خلت على الفصل (٥) .

والقصص خبر ان والحق صفـة له ، والـقصص مصدر أو

---

(١) التفسير الكبير ج ١٥ / ٦١ .
(٢) الكشاف ج ٢ / ١٣١ .
(٣) آل عمران / ٦٢ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٤ / ١٠٥ .
(٥) البحر المحيط ج / ٤٨٢ .

فعل بمعنى مفعول أى المقصوص كالقبض بمعنى المقبوض ، ويجوز أن يكون هو مبتدأ والقصص خبره ، والجملة فى موضع خبر أن .

ويصف القصص بالحق إشارة إلى القصص المكذوب الذى اتى به نصارى نجران وغيرهم فى أمر عيسى والوهيته (١) .

وعلى هذا فإن « القصص » مصدر من قولهم : قص فلان الحديث يقصه قصا وقصصا ، واصله تتبع الأثر ، يقال : خرج فلان يقص اثر فلان اى يتتبعه ليعرف أين ذهب ، ومنه قوله تعالى : « وقالت لأخته قصيه » (٢) اى تتبعى أثره ، وكذلك القاص فى الكلام ، لأنه يتتبع خبرا بعد خبر ، أو يتتبع المعانى ليوردها ، وهو هنا فعل بمعنى مفعول ، أى المقصوص الحق (٣) .

٤٧ - النعمة :

قال الله عز شانه « ما أنت بنعمة ربك بمجنون » (٤) ، (٥) وهذا جواب القسم (٦) وهو نفى ، وكلف المشركون يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم أنه مجنون ، به شيطان ، وهو قولهم « يا أيها الذى نزل عليه الذكر أنك لمجنون » (٧) فأنزل الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لقولهم

---

(١) السابق : البحر المحيط ج٢ / ٤٨٢ .
(٢) روح المعانى للألوسى ج ٣ / ١٩١ من المجلد الأول .
(٣) القلم / ٢ .
(٤) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ج ١ / ٩٤
(٥) القلم / ١-٣ .
(٦) الحجر / ٦ .
(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٨ / ٢٢٥ - ٢٢٦ .

« ما أنت بنعمة ربك بمجنون » (١) .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم غاب عن خديجة رضى الله عنها إلى حراء ، فطلبته فلم تجده ، فإذا به وجهه متغيرا بلا غبار ، فقالت : ما لك ؟ فذكر نزول جبريل عليه السلام ، وانه قال له « اقرا باسم ربك » (٢) فهو أول ما نزل من القرآن قال : ثم نزل بى إلى قرار الأرض فتوضا ، وتوضات ، ثم صلى ، وصليت معه ركعتين ، وقال هكذا الصلاة يا محمد - صلى الله عليه وسلم - فذكر عليه الصلاة والسلام ذلك لخديجة رضى الله عنها فذهبت بخديجة إلى ورقة بن نوفل ، وهو ابن عمها ، وكان قد خالف دين قومه ، ودخل فى النصرانية ، فسالته فقال : أرسلى إلى محمد ، فارسلته فأتاه ، فقال له : هل امرك جبريل عليه السلام ان تدعو إلى الله احدا ؟ فقال : لا ، فقال والله لئن بقيت إلى دعوتك لأنصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعاء الرسول ، ووقعت تلك الواقعة فى السنة كفار قريش ، فقالوا انه مجنون فاقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون ، وهو خمس آيات من أول هذه السورة .

والنعمة ها هنا القرآن (٣) ، وقيل : الرحمة (٤) . وقال عطاء وابـن عباس رضى الله عنهما يريـد « بـنعمة ربـك » عليـك بالإيمان والنبوة (٥) .

ويحتمل أيضا - أن النعمة ها هنا قسم ، وتقديره : ما انت ونعمة ربك بمجنون ، لأن الواو والباء من حروف القسم ،

---

(١) القلم / ٢ .
(٢) التفسير الكبير للرازى ج ٣٠ / ٧٩ .
(٣) بصائر ذوى التمييز ج ١ / ٩٤
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٨ / ٢٣٦ .
(٥) التفسير الكبير ج ٣٠ / ٧٩ .

وقيل هو كما تقول :
ما أنت بمجنون ، والحمد لله ، وقيل : معناه ما انت بمجنون والنعمة لربك ، كقولهم : سبحانك اللهم وبحمدك ، اى والحمد لله ، ومنه قول لبيد :
وافردت فى الدنيا بفقد عشيرتى * وفارقنى جار بأربد نافع
اى وهو أربد (١) . وقال النابغة :

لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم * طفحت عليك بناتق مذكار
اى هو ناتق .

والباء فى « بنعمة ربك » متعلقة « بمجنون » منفيا ، كما يتعلق بغافل مثبتا ، كما فى قولك : أن بنعمة ربك غافل ، ومحله النصب على الحال ، كأنه قال : ما انت بمجنون منعما عليك بذلك (٢) .

والذى نخلص إليه أن المولى عز وجل قد نفى الجنون عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم انه تعالى شأنه « قرن بهذه الدعوى ما يكون كالدلالة القاطعة على صحتها ، وذلك لأنه قوله « بنعمة ربك » يدل على أن نعم الله تعالى كانت ظاهرة فى حقه من الفصاحة التامة ، والعقل الكامل والسيرة المرضية ، والبراءة من كل عيب ، والاتصاف بكل مكرمة ، وإذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينافى حصول الجنون ، فالله تعالى نبه على هذه الدقيقة لتكون جارية مجرى الدلالة اليقينة على كونهم كاذبين فى قولهم له أنه مجنون (٣) .

---

(١) الربدة : بضم فسكون : الغبرة ، ورواية الديوان فى هذا البيت :
وقد كنت فى اكناف جار مضنه * ففارقنى ....الخ .
وجار مضنه : جار يضن به .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ / ٢٢٦ .
(٣) التفسير الكبير للرازى ج ٣٠ / ٨٠ .

٤٨ - كلمة الله :

قال الله جل ثناؤه « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته » (١) ، (٢) .
والمراد بالكلمة : القرآن ، أى تم القرآن فى كونه معجزا دالا على صدق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (٣) .

وروى ذلك عن قتادة رضى الله عنه حيث قال : الكلمات هى القرآن (٤) .
وقرأ عاصم وحمزة والكسائى « كلمة » بغير ألف على الواحد ، والباقون « كلمات » على الجمع ، قال أهل المعنى : الكلمة والكلمات معناهما ما جاء من وعد ووعيد وثواب وعقاب ، فلا تبديل فيه ولا تغيير له ، كما قال « ما يبدل القول لدى » (٥) ، فمن قرأ « كلمات » بالجمع قال : لأن معناها الجمع ، فوجب أن يجمع فى اللفظ ، ومن قرأ على الوجه فلأنهم قالوا : الكلمة ، قد يراد بها الكلمات الكثيرة إذا كانت مضبوطة بضابط واحد ، كقولهم : قال زهير فى كلمته : يعنى قصيدته ، وقال قس فى كلمة ، أى خطبته ، كذلك مجموع القرآن كلمة واحدة فى كونه حقا وصدقا ومعجزا (٦) .

وهذه الآية تدل على أن كلمة الله تعالى موصوفة بصفات كثيرة هى :
- كونها تامة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى « وتمت كلمة ربك » وفى تفسير هذا التمام وجوه :

---

(١) الأنعام / ١١٥ .
(٢) بصائر ذوى التمييز ج ١ / ٩٣ .
(٣) التفسير الكبير للرازى ج ١٣ / ١٦٨ من المجلد السابع .
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٧ / ٧١ .
(٥) ق / ٢٩ .
(٦) التفسير الكبير ج ١٣ / ١٦٨ .

الأول : ما ذكرناه من أنها كافية وافية بكونها معجزة ، دالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم .

والثاني : أنها كافية في بيان ما يحتاج المكلفون إليه إلى قيام القيامة عملا وعلما .

والثالث : أن حكم الله تعالى هو الذى حصل فى الأزل ، ولا يحدث بعد ذلك شيء ، فذلك الذي حصل في الأزل هو التمام ، والزيادة عليه ، وهذا الوجه هو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم . "جف القلم مما هو كائن إلى يوم القيامة" .

(ب) : ومن صفات كلمة الله كونها صدقا ، والدليل عليه أن الكذب نقص والنقص على الله تعالى محال ، ولا يجوز إثبات أن الكذب على الله محال بالدلائل السمعية ، لأن صحة الدلائل السمعية موقوفة على أن الكذب على الله تعالى محال فلو اثبتنا امتناع الكذب على الله بالدلائل السمعة لزوم الدور وهو باطل .

وهذا الكلام كما يدل على أن الخلف في وعد الله تعالى محال ، فهو أيضا يدل على أن الخلف في وعيده محال .

(ج) من صفات كلمات الله تعالى كونها عدلا ، وفيه وجهان :

الأول : أن كل ما حصل في القرآن نوعان : الخبر والتكليف ، أما الخبر فالمراد كل ما اخبر الله عن وجوده أو عن عدمه ، ويدخل فيه الخبر عن وجود ذات الله تعالى وعن حصول صفاته أعنى كونه تعالى عالما قادرا سميعا بصيرا ، ويدخل فيه الخبر عن صفات التقديس والتنزيه كقوله (لم يلد ولم يولد) (١) وكقوله (لا تأخذ سنة ولا نوم) (٢) .

---

(١) الإخلاص / ٣ . (٢) البقرة / ٢٥٥ .

ويدخل فيه الخبر عن اقسام افعال الله وكيفية تدبيره لملكوت السموات والأرض ، وعالمي الأرواح والأجسام ، ويدخل فيه كل امر عن احكام الله تعالى فى الوعد والوعيد والثواب والعقاب . ويدخل فيه الخبر عن احوال المتقدمين ، والخبر عن الغيوب المستقبلة ، فكل هذه الأقسام داخلة تحت الخبر وأما التكليف فيدخل فيه كل امر ونهي توجه منه سبحانه على عبده سواء كان ذلك العبد ملكا او بشرا او جنيا او شيطانا وسواء كان ذلك فى شرعنا او فى شرائع الأنبياء عليهم السلام المتقدمين .

وإذا عرفت انحصار مباحث القرآن فى هذين القسمين فنقول ، قال الله تعالى « وتمت كلمة ربك صدقا » ان كان من باب الخبر و « عدلا » ان كان من باب التكليف وهذا ضبط فى غاية الحسن .

والقول الثاني : فى تفسير قوله « وعدلا » أن كل ما اخبر الله تعالى عنه من وعد ووعيد وثواب وعقاب فهو صدق ، لأنه لابد وأن يكون واقعا ، وهو بعد وقوعه عدل ، لأن افعاله منزهة عن أن تكون موصوفة بصفة الظلمية .

« د » ومن صفات كلمة الله قوله « لا مبدل لكلماته » وفيه وجوه :

الأول : أنا بينا أن المراد من قوله « وتمت كلمة ربك » انها تامة فى كونها معجزة دالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم . ثم قال « لا مبدل لكلماته » والمعنى ، ان هؤلاء الكفار يلقون الشبهات فى كونها دالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم إلا ان تلك الشبهات لا تاثير لها فى هذه الدلائل التى لا تقبل التبديل البتة ، لأن تلك الدلالة ظاهرة باقية جلية قوية لا تزول بسبب ترهات الكفار وشبهات أولئك الجهال .

والثاني : أن يكون المراد أنها تبقى مصونة عن التحريف والتغيير كما قال تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (١) .

والثالث : أن يكون المراد أنها مصونة عن التناقض ، كما قال : ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (٢) .

والرابع : أن يكون المراد أن أحكام الله تعالى لا تقبل التبديل والزوال ، لأنها أزلية ، والأزلي لا يزول (٣) .

٤٩ - المثبت :

قال الله تعالى : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » (٤) ، (٥) يقول تعالى : كل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين . كل هذا مما نثبت به فؤادك ، أي قلبك يامحمد - صلى الله عليك وعلى آله وسلم - ليكون لك عن مضى من اخوانك المرسلين أسوة (٦) .

وعلى هذا فإن معنى تثبيت فؤاده - صلى الله عليه وسلم - زيادة اليقين والطمانينة ، لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم . أو المعنى تثبيت قلبه على أداء الرسالة ، وتحمل الأذى

---

(١) الحجر / ٩ .
(٢) النساء / ٨٢ .
(٣) التفسير الكبير للرازي ج ١٣ / ١٦٩ - ١٧٠ .
(٤) هود / ١٢٠ .
(٥) بصائر ذوي التمييز ج ١ / ١٥ .
(٦) تفسير القرآن العظيم ج ٢ / ٤٦٥ .

من قومه أسرة بالأنبياء «١» .

٥٠ - الخير :

قال الله عز شانه « وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا » «٢» ، «٣»

هذا خبر عن السعداء ، بخلاف ما اخبر به عن الأشقياء ، فان اولئك قيل لهم : « ماذا أنزل ربكم » قالوا معرضين عن الجواب لم ينزل شيئا ، قالوا أساطير الأولين «٤» ، وهؤلاء قالوا : خيرا ، اى أنزل خيرا اى رحمة وبركة علمن اتبعه وآمن به «٥» .

و « ماذا » اسم واحد مركب للاستفهام بمعنى أى شيء محله النصب ب « أنزل » ، و « خيرا » مفعول لفعل محذوف . وفي اختيار ذلك دليل على أنهم لم يتلعثموا في الجواب ، وأطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة ، حيث عدلوا بالجواب عن السؤال ، فقالوا هو « أساطير الأولين » وليس من الانزال في شيء «٦» .

قال الثعلبي : فإن قيل : لم ارتفع الجواب في قوله « أساطير الأولين » وانتصب في قوله « خيرا » ؟ .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان - مطبوع بهامش جامع البيان للطبرى ج ١٣ / ٩٠ - ٩١ .

(٢) ، (٣) سورة النحل / ٣٠ .

بصائر ذوى التمييز ج ١ / ٩٣ .

(٤) سورة النحل/٢٤ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ج ٢ / ٥٦٧ .

(٦) روح المعانى للآلوسى ج ١٤ / ١٣٠ من المجلد الخامس .

فالجواب أن المشركين لم يؤمنوا بالتنزيل ، فكأنهم قالوا الذي يقولونه محمد هو أساطير الأولين ، والمؤمنون آمنوا بالنزول فقال ، أنزل خيرا .(١)

وعلى هذا فإن المقصود منه الفصل بين جواب المقر ، وجواب الجاحد يعني أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا ، واطبقوا الجواب على السؤال فقالوا مبينا مكشوفا مفعولا للإنزال فقالوا خيرا ، وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين وليس من الإنزال في شيء (٢) .

وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما « خير » بالرفع ، و « ما » اسم استفهام وذا اسم موصول بمعنى الذي ، أي شيء الذي أنزله ربكم ، و « خير » خبر لمبتدأ محذوف فيتوافق جملتا الجواب والسؤال في كون كل منهما جملة اسمية ، وجعل « ماذا » منصوبا على المفعولية ، ورفع « خير » على الخبرية لمبتدأ جائز ، إلا أنه خلاف الأولى .

وفائدة النصب مع أن الرفع أقوى دفع الالتباس ، ليكون نصا في المطلوب (٤) .

قال القرطبي ، كان يرد الرجل من العرب مكة في أيام المواسم فيسأل المشركين عن محمد - صلى الله عليه وسلم - فيقولون ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون ، ويسأل المؤمنين فيقولون ، أنزل الله عليه الخير والهدى ، والمراد القرآن (٥) .

---

(١) فتح القدير ج ٣ / ١٥٩ .
(٢) الكشاف ج ٢ / ٤٠٧ والتفسير الكبير للرازي ج ٢٠ / ٢٤ من المجلد العاشر .
(٣) السابق .
(٤) روح المعاني للألوسي ج ١٤ / ١٣٠ من المجلد الخامس .
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٠ / ١٠٠ من المجلد الخامس .

وأخرج عن السدى قال : اجتمعت قريش فقالوا : إن محمدا صلى الله عليه وسلم رجل حلو اللسان إذا كلمه الرجل ذهب بعقله ، فانظروا اناسا من أشارفكم المعدودين المعروفة أنسابهم فابعثوهم فى كل طريق من طرق مكة على رأس ليلة أو ليلتين ، فمن جاء مريده فردوه عنه ، فخرج ناس منهم فى كل طريق ، فكان إذا أقبل الرجل وافدا لقومه ينظر مايقول محمد صلى الله عليه وسلم فينزل بهم قالوا له : يافلان ابن فلان فيعرفه بنسبه ، ويقول : أنا أخبرك عن محمد صلى الله عليه وسلم هو رجل كذاب لم يتبعه على أمره إلا السفهاء والعبيد ومن لا خير فيه ، وأما شيوخ قومه وخيارهم فمفارقون له ، فيرجع أحدهم فذلك قوله تعالى : « وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين » (١) فإذا كان الوافد ممن عزم الله تعالى على الرشاد فقالوا له مثل ذلك قال : بئس الوافد أنا لقومى إن كنت جئت حتى إذا بلغت مسيرة يوم رجعت قبل أن ألقى هذا الرجل وانظر مايقول وآتى قومى ببيان أمره ، فيدخل مكة فيلقى المؤمنين فيسألهم : ماذا يقول محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون : خيرا .... الخ (٢) .

٥ - الصراط المستقيم :

قال الله جل ثناؤه « اهدنا الصراط المستقيم » (٣) ، (٤) .

اختلف العلماء فى المراد بالصراط المستقيم ، فقيل القرآن ، وقيل ملة الاسلام أو طريق الحج ، أو الاقتداء بأنبياء الله فى الصبر على الشدائد ، وقيل العبادة وقيل : رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما يلى بيان تلك الآراء :

---

(١) النحل / ٢٤ .

(٢) روح المعانى للألوسى ج ١٤ / ١٣١ من المجلد الخامس .

(٣) الفاتحة / ٦ .

(٤) بصائر ذوى التمييز ج ٣ / ٩٣ .

- ذهب الفيروز آبادى إلى ان المراد بالصراط المستقيم القرآن الكريم ، وروى ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : الصراط المستقيم هو كتاب الله (١) .

- وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : « اهدنا الصراط المستقيم » يقول الهمنا دينك الحق .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال : هو دين الاسلام ، وهو اوسع مما بين السماء والأرض ، عن النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعلى جنبى الصراط سوران فيهما ابواب مفتحة ، وعلى الابواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا ايها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تفرقوا ، وداع يدعو من فوق الصراط فإذا اراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه فإنك ان تفتحه تلجه » (٢) ، (٣) .

فالصراط الإسلام والسوران : حدود الله . والأبواب المفتحة ، محارم الله ، وذلك الداعى على رأس الصراط ، كتاب الله . والداعى من فوق ، واعظ الله تعالى فى قلب كل مسلم .

وردهما الرازى رحمه الله بأن قوله تعالى « صراط الذين انعمت عليهم » بدل من " الصراط المستقيم " وإذا كان كذلك

---

(١) فتح القدير للشوكانى ج ١ / ٢٤ وجامع البيان للطبرى ج ١ / ١٧٣ تحقيق شاكر .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند ج ٤ / ١٨٢ بلفظه . والترمذى فى الأمثال ، باب رقم ١ حديث رقم ٢٨٦٣ وقال : هذا حديث حسن غريب ، والحاكم فى المستدرك ج ٢ / ٣١٨ وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى .

(٣) جامع البيان للطبرى تحقيق شاكر ج ١ / ١٧٣ .

كان التقدير : اهدنا صراط من انعمت عليهم من المتقدمين ، ومن الأمم ماكان لهم القرآن والإسلام وإذا بطل ذلك ثبت ان المراد اهدنا صراط المحقين المستحقين للجنة ، وإنما قال : الصراط ولم يقل السبيل ولا الطريق ، وإن كان الكل واحدا ، ليكون لفظ الصراط مذكرا لصراط جهنم ، فيكون الإنسان على مزيد خوف وخشية (١) .

- وروى القرطبي عن الفضيل بن عياض رضي الله عنه انه قال : الصراط المستقيم طريق الحج ، قال : وهذا خاص ، والعموم اولى (٢) .

- وقيل المراد بقوله « اهدنا الصراط المستقيم » الاقتداء بأنبياء الله في الصبر على الشدائد ، والثبات عند نزول البلاء .

- وقيل المراد منه : العبادة لقوله تعالى : « وان اعبدوني هذا صراط مستقيم » (٣) والقرآن يفسر بعضه بعضا (٤) وفيه نظر .

- وقال عاصم الأحول عن ابي العالية : « الصراط المستقيم » رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده ، قال عاصم فقلت للحسن : ان أبا العالية يقول : « الصراط المستقيم » رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه . قال : صدق ونصح (٥) .

---

(١) التفسير الكبير للرازي ج ١ / ٢٦٠ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١ / ١٤٧ .
(٣) سورة يس / ٦١ .
(٤) روح المعاني للألوسي ج ١ / ٩٢ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١ / ١٤٧ وجامع البيان للطبري ط ١٧٥ تحقيق شاكر .

- وقيل المراد منه : الطريق الوسط بين طرفى الافراط والتفريط فى كل الأخلاق ، وفى كل الأعمال (١) .

- وقال ابن جرير الطبرى : والذى هو اولى بتاويل هذه الآية عندى مغنيا به وفقنا للثبات على ما ارتضيته ، ووفقت له من انعمت عليه من عبادك من قول وعمل ، وذلك هو الصراط المستقيم ، لأن من وفق اليه ممن انعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للاسلام ، وتصديق الرسل ، والتمسك بالكتاب ، والعمل بما أمر الله به والانزجار عما زجر عنه واتباع منهاج النبى صلى الله عليه وسلم ومنهاج الخلفاء الأربعة وكل عبد صالح ، وكل ذلك من الصراط المستقيم (٢) .

٥٣ - العروة الوثقى :

قال الله تعالى « فقد استمسك بالعروة الوثقى » (٣) ، (٤)

---

(١) التفسير الكبير للرازى ج ١ / ٢٥٨ .
(٢) جامع البيان عن تاويل آى القرآن للطبرى - تحقيق شاكر ج ١ / ١٧١ .
(٣) البقرة / ٢٥٦ ولقمان / ٢٢ .
(٤) بصائر ذوى التمييز ج ١ / ٩٣ .

جواب الشرط – « فمن يكفر بالطاغوت (١) ويؤمن بالله –
وجمع الوثقى : الوثق مثل الفضلى والفضل فالوثقى من
الوثاقة (٢) .

وقد اختلف المفسرون في تفسير العروة الوثقى ، بعد
اتفاقهم على أن ذلك من باب التشبيه والتمثيل كما هو معلوم
بماهو مدرك بالحاسة : فقيل المراد بالعروة الوثقى : القرآن
الكريم ، روى ذلك عن أنس بن مالك رضى الله عنه (٣) .

وقال السدى : الاسلام – روى ابن كثير باسناده عن محمد

---

(١) البقرة / ٢٥٦ ، الطاغوت ، مؤنثة من طغى يطغى – وحكى الطبرى :
يطغو – اذا جاوز الحد بزيادة عليه ووزنه : فعلوت .
ومذهب سيبويه أنه اسم مذكر مفرد كأنه اسم جنس يقع
للقليل والكثير . ومذهب أبى على أنه مصدر كرهبوت وجبروت
وهو يوصف به الواحد والجمع ، وقلبت لامه الى موضع
العين ، وعينه موضع اللام كجبذ وجذب ، فقلبت الواو ألفا
لتحركها وتحرك ماقبلها فقيل طاغوت ، واختار هذا القول
النحاس .

وقيل : أصل طاغوت فى اللغة مأخوذه من الطغيان يؤدى
معناه من غير اشتقاق ، كما قيل : لآل من اللؤلؤ .

وقال المبرد : هو جمع ، وقال ابن عطيه وذلك مردود .
قال الجوهرى : الطاغوت الكاهن والـــشيطان وكــل رأس فـى
الضلال وقد يكون واحدا قال تعالى : (يريدون أن يتحاكموا
إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) . وقد يكون جمعا
قال تعالى (أولياؤهم الطاغوت) . والجمع الطواغيت .
القرطبى ج ٣ / ٢٨٢ .
(٢) القرطبى ج ٣ / ٢٨٢ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ج ١ / ٣١١ .

ابن قيس بن عباده قال : كنت فى المسجد ، فجاء رجل فى وجهه أثر من خشوع فصلى ركعتين اوجز فيهما ، فقال القوم هذا رجل من اهل الجنة ، اتبعته حتى دخل منزله فدخلت معه فحدثته ، فلما استانس قلت له : ان القوم لما دخلت المسجد قالوا : كذا وكذا . قال : سبحان الله ماينبغى لأحد ان يقول مالايعلم وساحدثك لم : انى رايت رؤيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه ، رايت كانى فى روضة خضراء ، وفى وسطها عمود حديد أسفله فى الأرض وأعلاه فى السماء فى أعلى عروة ، فقيل لى أصعد عليه ، فقلت : لا أستطيع ، فجاءنى منصف - الوصيف - فرفع ثيابى من خلفى ، فقال : أصعد ، فصعدت حتى أخذت بالعروة فقال : استمسك بالعروة الوثقى ، فاستيقظت ، وانها لفى يدى ، فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه ، فقال : " أما الروضة فروضة الإسلام ، وأما العمود فعمود الإسلام ، وأما العروة فهى العروة الوثقى أنت على الإسلام حتى تموت "(١) .

وقال مجاهد : الإيمان .

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك : لا إله إلا الله (٢) .

وعن سالم بن ابى الجعد قال : هو الحب فى الله والبغض فى الله (٣) .

قال ابن كثير - وكذلك قال القرطبى - كل هذه الأقوال صحيحة ، ولا تنافى بينها (٤) .

---

(١) اخرجه الامام احمدوالبخارى من وجه آخر عن محمد بن سيرين .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٣ / ٣٨٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ج ١ / ٣١١ .

(٤) السابق : ج ١ / ٣١١ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٣ / ٣٨٢ .

وعلى هذا فإنه لا مانع من الحمل على الجميع ، لأن هذه العبارات ترجع الى معنى واحد .

والانفصام ، الانكسار من غير بينونه . قال الجوهرى ، فصم الشيء كسره من غير أن يبين ، وأما القصم بالقاف ، فهو الكسر من البينونه وفسر صاحب الكشاف الانفصام بالانقطاع (١) .

٥٣ - النجوم :

قال الله عز وجل « فلا اقسم بمواقع النجوم » (٢) ، (٣) وكلام الفيروز ابادى مبنى على تفسير النجوم بنجوم القرآن ، أى نزوله مفرقا لا جملة ، ومواقع النجوم أوقات نزوله (٤) .

قال ابن عباس رضى الله عنهما ، المراد بمواقع النجوم نزول القرآن نجوما ، انزله الله تعالى من اللوح المحفوظ من السماء العليا الى السفرة الكاتبين ، فنجمه السفرة على جبريل عشرين ليله ، ونجمة جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام عشرين سنة ، فهو ينزله على الأحداث من أمته ، حكاه الماوردى عن ابن عباس والسدى .

روى عن همام عن الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس قال ، نزل القرآن الى سماء الدنيا جملة واحدة ، ثم نزل الى الارض نجوما ، وفرق بعد ذلك خمس آيات واقل واكثر ، فذلك قول الله تعالى « فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم » (٥) .

---

(١) الكشاف ج ١ / ٣٨٧ .
(٢) الواقعة / ٧٥ .
(٣) بصائر ذوى التمييز ج ١ / ٩٤ .
(٤) بصائر ذوى التمييز ج ١ / ٩٤ هامش رقم (٥) .
(٥) الواقعة / ٧٥ - ٧٧ .

وحكي الفراء عن ابن مسعود ان مواقع النجوم هو محكم القرآن (١) .

٥٤ - الكوثر :

قال الله تعالى ذكره « انا اعطيناك الكوثر » (٢) ، (٣) .

والكوثر فوعل من الكثرة ، مثل النوفل من النفل ، والجهور من الجهر ، والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد والقدر والخطر كوثرا . قال سفيان ، قيل لعجوز رجع ابنها من السفر ، بم آب ابنك ؟ قالت ، الكوثر ، اى بمال كثير . والكوثر من الرجال ، السيد الكثير الخير ، قال الكميت :

وانت كثير يابن مروان طيب
وكان ابوك ابن الفضائل كوثرا

والكوثر ايضا ، العدد من الأصحاب والأشاع .
والكوثر من الغبار الكثير ، وقد تكوثر اذا كثر ، قال الشاعر :
وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا (٤) .

وإذا اراد احد ان يتتبع هذا الكوثر الذى اعطاه الله لنبيه ، فهو واجده حيثما نظر أو تصور ، هو واجده فى :

- القرآن الذى نزل عليه ، وسورة واحدة منه كوثر لا نهاية

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٧ / ٢٢٤ .
(٢) الكوثر / ١ .
(٣) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ج ١ / ٩٤
(٤) هذا عجز بيت لحسان بن نشبة ، وصدره كما فى اللسان : أبوا أن يبيحوا جارهم لعدوهم .
(٥) فى ظلال القرآن ج ٦ / ٣٩٨٨ .

لكثرته ، وينبوع ثر لا نهاية لفيضه وغزارته (١) .

- وقد وردت روايات من طرق كثيره ان الكوثر نهر في الجنة أوتيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : " بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فى المسجد اذا أغفى اغفاؤة ، ثم رفع رأسه مبتسما ، قلنا : ما أضحك يارسول الله ، قال : « لقد أنزلت علي آنفا سورة ، فقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر . فصل ربك وانحر . إن شانئك هو الأبتر » . ثم قال : أتدرون ما الكوثر . قلنا الله ورسوله اعلم . قال : فانه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فى السماء فيختلج (٢) العبد منهم فاقول : رب إنه من أمتى ، فيقول : إنك لا تدرى ما أحدث بعدك » (٣) .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : إن هذا النهر هو من بين الخير الكثيرالذى أويته الرسول - صلى الله عليه وسلم - فهو كوثر من الكوثر .

- وهو وأجده فى الحوض عن أنس رضى الله عنه قال : بينا

---

(١) فى ظلال القرآن ج ٦ / ٣٩٨٨ .
(٢) أى ينتزع ويقتطع .
(٣) البخارى فى تفسير سورة (إنا أعطيناك الكوثر) ج ٨ / ٥٦٢ و٥٦٣ ، وفى الرقاق ، باب الحوض " مسلم فى الصلاة ، باب حجة من قال : البسملة آية من أول كل سورة رقم ٤٠٠ ، الترمذى فى التفسير ، باب ومن سورة (انا اعطيناك الكوثر) رقم ٣٣٥٧ وأبو داود فى السنه باب فى الحوض رقم ٤٧٤٧ ، وفى السنة ، باب فى الحوض رقم ٤٧٤٨ ، والنسائى فى الصلاة ، باب قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) ج٣ / ١٣٣ - ١٣٤ .

نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا اغفى اغفاءه ، ثم رفع رأسه مبتسما ، فقلنا : ما اضحكك يارسول الله ؟ قال : نزلت على آنفا سورة فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم : انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر . ان شانئك هو الابتر » ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا : الله ورسوله اعلم . قال : « فانه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم ، فيختلج العبد منهم ، فاقول انه من امتى ، فيقال انك لا تدرى ما احدث بعدك » (١) ، (٢) .

- وهو واجده في النبوة - ولاشك انها الخير الكثير ، لأنها المنزلة التى هى ثانية الربوبية ولهذا قال الله تعالى « من يطع الرسول فقد اطاع الله » (٣) وهو شطر الإيمان ، بل هى كالغصن فى معرفة الله تعالى ، لأن معرفة النبوة لابد وأن يتقدمها معرفة ذات الله وعلمه وقدرته وحكمته ، ثم اذا حصلت معرفة النبوة فحينئذ يستفاد منها معرفة بقية الصفات كالسمع والبصر ، ثم لرسولنا الحظ الأوفر من هذه المنقبة ، لأن المذكور قبل سائر الأنبياء والمبعوث بعدهم ، ثم هو مبعوث الى الثقلين ، وهو الذى يحشر قبل كل الانبياء ، ولايجوز ورودالشرع على نسخه وفضائله اكثر من أن تعد وتحصى (٤) .

- وهو واحد فى الملأ الأعلى الذى يصلى عليه ، ويصلى على من يصلى عليه فى الأرض حيث يقترن اسمه باسم الله فى الأرض والسماء (٥) .

---

(١) التخريج السابق .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٢٠ / ٢١٧ .
(٣) النساء / ٨٠ .
(٤) التفسير الكبير للرازى ج ٣٢ / ١٣٤ - ١٣٥ .
(٥) فى ظلال القرآن ج ٦ / ٣٩٨٨ .

- وهو واجده في الإسلام ، وهو لعمري الخير الكثير ، فان به يحصل خير الدنيا والآخرة ، ويفواته يفوت خير الدنيا ، وخير الاخرة ، وكيف لا والاسلام عبارة عن المعرفة أو ما لابد فيه من المعرفة ، قال الله تعالى : « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » (١) وإذا كان الاسلام خيرا كثيرا فهو الكوثر .

ونوقش ذلك بقولهم : لم خص بالإسلام مع أن نعمة عمت الكل ؟

وأجيب عن ذلك بأن الإسلام وصل منه إلى غيره ، فكان صلى الله عليه وسلم كالأصل فيه .

وهو واجده في تيسير القرآن وتخفيف الشرائع ، قاله الحسن بن الفضل (٢) .

- وهو واجده في العلم ، وحمل الكوثر على هذا الوجه أولى لعدة وجوه :

- أن العلم هو الخير الكثير ، قال الله تعالى « وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » (٣) وأمره بطلب العلم ، فقال عز شانه : « وقل رب زدني علما » (٤) وسمى الحكمة خيرا ، فقال : « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » (٥) .

- أنه لما قال : « إنا اعطيناك الكوثر » قال عقيبه : « فصل

---

(١) البقرة / ٢٦٩ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٢٠ / ٢١٧ .
(٣) النساء / ١١٣ .
(٤) طه / ١١٤ .
(٥) البقرة / ٢٦٩ .

لربك وانحر » والشيء الذى يكون متقدما على العبارة هو المعرفة » ولذلك قال فى سورة النحل « أن انذروا انه لا إله إلا أنا فاتقون » (١) وقال فى سورة طه « إننى انا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى » (٢) فقدم فى السورتين المعرفة على العبارة ، ولأن فاء التوقيت فى قوله : « فصل » تدل على ان اعطاء الكوثر كالموجب لهذه العبادة ، ومعلوم أن الموجب للعبادة ليس إلا العلم .

- انا اما ان نحمل الكوثر على نعم الآخرة ، أو على نعم الدنيا ، والأول غير جائز لأنه قال : اعطينا ، ونعم الجنة سيعطيها ، لا انه اعطاها ، فوجب حمل الكوثر على ما وصل إليه فى الدنيا ، وأشرف الأمور الواصلة إليه فى الدنيا هو العلم والنبوة داخلة فى العلم ، فوجب حمل اللفظ على العلم (٣) .

- وهو واجده فى المقام المحمود الذى هو الشفاعة ، فقال فى الدنيا « وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم » (٤) وقال فى الآخرة « شفاعتى لأهل الكبائر من امتى » (٥) . وقال صلى الله عليه وسلم « ان كل نبى دعوة مستجابة وانى خبأت دعوتى شفاعة لمتى يوم القيامة » (٦) .

- وهو واجده فى الخلق الحسن ، لأن الانتفاع بالخلق الحسن

---

(١) النحل / ٢ .   (٢) طه / ١٤ .

(٣) التفسير الكبير للرازى ج ٣٢ / ١٢٧ .

(٤) الأنفال / ٣٣ .

(٥) أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير ، أبو داود فى كتاب السنة ، باب الشفاعة رقم ٤٧٣٩ .

(٦) أخرجه أبو داود فى السنة "باب فى الشفاعة رقم ٤٧٣٩ والترمذى فى صفة القيامة ٢٤٣٧ ، وابن ماجه فى الزهد باب ذكر الشفاعة .

عام ينتفع به العالم والجاهل والبهيمة والعاقل ، فأما الانتفاع بالعلم فهو مختص بالعقلاء ، فكان نفع الخلق الحسن أعم ، فوجب حمل الكوثر عليه ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم كذلك ، كان للأجانب كالوالد يحل عقدهم ، ويكفي مهمهم ، وبلغ حسن خلقه إلى أنهم لما كسروا سنه قال : « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » (١) .

وعلى ضوء ما سبق يمكن أن نقول إن المراد من الكوثر جميع نعم الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو المنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما لأن لفظ « الكوثر » يتناول الكثرة الكثيرة ، فليس حمل الآية على بعض هذه النعم أولى من حملها على الباقي ، فوجب حملها على الكل . وإن من يبحث عن الكوثر "يجده في مظاهر شتى ، ومحاولة إحصاءها ضرب من تقليلها وتصغيرها" (٢) .

٥٥ - الماء :

قال الله تعالى : « وأنزلنا من السماء ماء » (٣) وقد جرى الفيروز ابادي على تفسير الماء بالقرآن لأن به حياة الأنفس وريها ، كما بالماء حياة الأرض والحيوان (٤) وهو بعيد ، قال القرطبي : « هذه الآية من نعم الله تعالى على خلقه ومما امتن به عليهم ، ومن أعظم المنن الماء والذي هو حياة البدان ونماء الحيوان .

والماء المنزل من السماء على قسمين : هذا الذي ذكره الله سبحانه وتعالى وأخبر بأنه استودعه في الأرض ، وجعله فيها

---

(١) التفسير الكبير للرازي ج ٣٢ / ١٢٧ - ١٢٨ .
(٢) في ظلال القرآن ج ٦ / ٣٩٨٨ .
(٣) المؤمنون / ١٨ والفرقان / ٤٨ ولقمان / ١٠ .
(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج ١ / ٩٤

مختزنا لسقى الناس يجدونه عند الحاجة إليه ، وهو ماء النهار والعيون ما يستخرج من الآبار .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره انه إنما أراد الأنهار الأربعة : سيحان وجيحان ونيل مصر والفرات .

وقال مجاهد : ليس في الأرض ماء إلا وهو من السماء . وهذا ليس على إطلاقه ، وإلا فالأجاج ثابت فى الأرض فيمكن أن يقيد قوله بالماء العذب ، ولا محالة أن الله تعالى قد جعل فى الأرض ماء وأنزل من السماء .

وقد قيل : إن قوله « وأنزلنا من السماء ماء » إشارة إلى الماء العذب ، وأن أصله من البحر ، رفعه الله تعالى بلطفه وحسن تقديره من البحر إلى السماء حتى طاب بذلك الرفع والتصعيد ، ثم أنزله إلى الأرض لينتفع به ، ولو كان الأمر إلى البحر لما انتفع به من ملوحته (١) .

وعلى هذا فإن المراد بالماء ماء المطر ، فإن به حياة الأرض وما فيها من الحيوان ومن جملة ذلك ماء الأنهار النازلة من السماء والعيون ، والآبار المستخرجة من الأرض فإن أصلها من ماء السماء .

٥٦ - المقروء :

قال الله جل ثناؤه « لتقرأه على الناس على مكث » (٢) ، (٣) أى لتبلغه الناس وتتلوه عليهم على

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٢ / ١١٢ والكشاف ج ٣ / ٣٨ .
(٢) الإسراء / ١٠٦ .
(٣) بصائر ذوى التمييز ج ١ / ٩٥ .

مهل (١) .

٥٧ - المرتل :

قال الله تعالى ذكره : (ورتل القرآن ترتيلا) (٢) ، (٣) أى لا تعجل بقراءة القرآن بل اقرأه فى مهل وبيان مع تدبر المعانى (٤) .

قال الزجاج : رتل القرآن ترتيلا ، بينه تبينا ، والتبين لا يتم بأن يعجل فى القرآن ، إنما يتم بأن يتبين جميع الحروف ، ويوفى حقها من الاشباع .

وقال المبرد : أصله من قولهم ثغر مرتل إذا كان بين الثنايا افتراق ليس بالكثير .

وقال الليث : الترتيل تنسيق الشيء ، وثغر رتل : حسن التنضيد ، ورتلت الكلام ترتيلا ، إذا تمهلت فيه وأحسن تأليفه . وقوله : (ترتيلا) تأكيد فى إيجاب الأمر به ، وأنه مما لابد منه للقارئ (٥) .

وعلى هذا فإن الترتيل فى القراءة هو التأنى فيها ، والتمهل وتبين الحروف والحركات تشبيها بالثغر المرتل ، وهو المشبه بنور الأقحوان ، وهو المطلوب فى قراءة القرآن . وسئلت أم سلمة رضى الله عنها عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : مالكم وصلاته . كان يصلى ثم ينام قدر

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٣/٦٨ .
(٢) المزمل / ٤ .
(٣) بصائر ذوى التمييز ج ١/٩٥ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٩/٣٧ .
(٥) التفسير الكبير للرازى ج ٣٠/١٧٣ .

ما صلى ، ثم يصلي قدر ما نام ، ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح . ثم نعتت قراءته ، فإذا هي تنعت قراءته مفسرة حرفا حرفا (١) .

يروى عبد الله بن عمرو قال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « يؤتى بقارئ القرآن يوم القيامة ، فيوقف في أول درج الجنة ، ويقال له ، اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها (٢) .

وروى أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يمد صوته بالقراءة مدا (٣) .

ولقد أمر المولى عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم -

---

(١) الترمذى فى أبواب ثواب القرآن ، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبى صلى عليه وسلم رقم ٢٩٢٤ وقال ، هذا حديث حسن صحيح غريب .
وأبو داود فى الصلاة ، باب استحباب ترتيل القراءة رقم ١٤٦٦ ، النسائى باب تزيين القرآن بالصوت ج ٢/١٨١ من حديث الليث عن ابن أبى مليكة ، أحمد فى المسند ج ٦/٣٠٢ .
(٢) يقال لصاحب القرآن اقرأ وترتل .
أبو داود فى الصلاة ، باب استحباب الترتيل فى القرآن رقم ١٤٦٤ ، والترمذى فى ثواب القرآن ، باب الذى ليس فى جوفه قرآن كالبيت الخرب رقم ٢٩١٥ وقال ، حسن صحيح . وابن ماجه عن أبى سعيد فى الأدب رقم ٣٧٨٠ وأحمد فى المسند ج ٢ / ١٩٢ واسناده حسن .
(٣) أخرجه البخارى فى فضائل القرآن ، باب مد القراءة ج ٩ / ٧٩ . أبو داود فى الصلاة ، باب استحباب الترتيل فى القراءة رقم ١٤٥٦ ، النسائى فى الصلاة ، باب مد الصوت بالقراءة .

وكذا أمته - بترتيل القرآن « حتى يتمكن الخاطر من التأمل في حقائق تلك الآيات ودقائقها فعند الوصول إلى ذكر الله يستشعر عظمته وجلالته ، وعند الوصول إلى إلى الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف ، وحينئذ يستنير القلب بنور معرفة الله والإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعاني لن النفس تبتهج بذكر الأمور الروحانية ، ومن ابتهج بشيء احب ذكره ، ومن أحب شيئا لم يمر عليه بسرعة ، فظهر أن المقصود من الترتيل انما هو حضور القلب ، وكمال المعرفة «١» .

- وسماه اربعة أسماء في آية واحدة :

٥٧ - الصحف المكرمة .   ٥٨ - الصحف المرفوعة .
٥٩ - الصحف المطهرة .

قال الله جل ثناؤه « كلا إنها تذكرة . فمن شاء ذكره . في صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة » «٢» .

الضمير في « إنها » يعود إلى السورة أو آيات القرآن الكريم .
والضمير في قوله « فمن شاء ذكره » عائد إلى التذكرة ، لأن التذكرة في معنى الذكر والوعظ ، وقيل « إنها تذكر » يعني به القرآن ، والقرآن مذكر ، إلا انه لما جعل القرآن تذكرة اخرجه على لفظ التذكرة ، ولو ذكره لجاز .

والدليل على ان قوله « إنها تذكرة » المراد به القرآن قوله « فمن شاء ذكره » .

---

(١) التفسير الكبير للرازي ج ٣٠ / ١٧٤ .
(٢) عبس / ١١ - ١٤ الإتقان في علوم القرآن ج ١/ ١٤٩ ط دار التراث .

قال الجرجانى « إنها » أى القرآن ، والقرآن مذكر إلا أنه لما جعل القرآن تذكرة ، أخرجه على لفظ التذكرة ، ولو ذكره لجاز كما قال فى موضع آخر « كلا انه تذكرة » (١) ، ويدل على أنه أراد القرآن قوله : « فمن شاء ذكره » أى كان حافظا له غير ناس ، وذكر الضمير ، لأن التذكرة فى معنى الذكر والوعظ (٢) .

وتتصل هذه الآية بما قبلها من وجهين :

الأول : كأنه قيل : هذا التأديب الذي أوحيته غليك وعرفته لك فى اجلال الفقراء وعدم الالتفات إلى أهل الدنيا أثبت فى اللوح المحفوظ الذى قد وكل بحفظه أكابر الملائكة .

الثانى : كأنه قيل : هذا القرآن قد بلغ فى العظمة إلى هذا الحد العظيم ، فأى حاجة به إلى أن يقبله هؤلاء الكفار ، فسواء قبلوه أو لم يقبلوه فلا تلتفت إليهم ولا تشتغل قلبك بهم ، وإياك وأن تعترض عمن آمن به تطييبا لقلب أرباب الدنيا (٣) .

وقد يصف الله عز وجل تلك التذكرة بأمرين :

الأول : قوله « فمن شاء ذكره » أى هذه تذكرة بينة ظاهرة بحيث لو أرادوا فهمها والاتعاظ بها والعمل بموجبها لقدروا عليه .

والثانى : قوله « فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة » أى تلك التذكرة موجودة في هذه الصحف المكرمة ، أى عند الله ، أو « مكرمة » فى الدين لما فيها من العلم والحكمة ، وقيل : « مكرمة » لأنها نزل بها كرام

---

(١) المدثر / ٥٤ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٩ / ٢١٥ .
(٣) التفسير الكبير للرازى ج ٣٠ / ١٧٤ .

الحفظة أو لأنها نازلة من اللوح المحفوظ . وقيل ، « مكرمة » لأنها نزلت من كريم ، لأن كرامة الكتاب من كرامة صاحبه .

وقوله « مرفوعة » أى رفيعة القدر عند الله . وقيل « مرفوعة » عنده تبارك وتعالى . وقيل « مرفوعة » فى السماء السابعة .

وقال الطبرى « مرفوعة » الذكر والقدر . وقيل « مرفوعة » عن الشبه والتناقض .

« مطهرة » من كل دنس ، وقيل مصانة عن أن ينالها الكفار ، وقيل « مطهرة » من أن تنزل على المشركين . وقيل ، أى القرآن اثبت للملائكة فى صحف يقرءونها فهى مكرمة مرفوعة مطهرة (١) .

وعلى هذا فإن تلك التذكرة « كريمة فى كل اعتبار ، كريمة فى صحفها المرفوعة المطهرة الموكل بها السفراء من الملأ الأعلى ينقلونها غلى المختارين فى الأرض ليبلغونها ... وهم كذلك كرام بررة ... فهى كريمة طاهرة فى كل ما يتعلق بها وما يمسها من قريب أو بعيد ، وهى عزيزة لا يتصدى بها للمعرضين الذين يظهرون الاستغناء عنها ، فهى فقط لمن يعرف كرامتها ويطلب التطهر بها » (٢) .

٦٠ - العدل :

قال الله تعالى « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً » (٣) ، (٤) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٩ / ٢١٦ .

(٢) فى ظلال القرآن ج ٦ / ٣٨٢٥ .

(٣) الأنعام / ١١٥ .

(٤) بصائر ذوى التمييز ج ١ / ٩٥ والإتقان فى علوم القرآن ج ١ / ١٤٥ طبعة دار التراث .

٦ - أمر الله :

قال الله جل ثناؤه « ذلك أمر الله أنزله إليكم » (١) ، (٢) أي حكمه وشرعه أنزله إليكمبواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) .

وقوله تعالى « ذلك » إشارة إلى ما ذكر من الأحكام ، وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد المشار إليه للإيذان ببعد منزلته في الفضل . وإفراد الكاف مع ان الخطاب للجمع كما يفصح عنه قوله تعالى « أمر الله انزله إليكم » لما أنها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى لا لتعيين خصوصية المخاطبين (٤) .

وقد جاء التعبير ب « أمر الله » في سورة النحل ، قال الله تعالى « اتى أمر الله فلا تستعجلوه » (٥) .

قال الحسن وابن جرير والضحاك ، إنه ما جاء به القرآن من فرائضه وأحكامه . وفيه بعد ، لأنه لم ينقل احدا من الصحابة استعجل فرائض الله من قبل أن تفرض عليهم ، ومن اجل هذا فسر قوله « أمر الله » في سورة النحل بعقابه لمن اقسم على الشرك وتكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد نقل عن كثير من كفار قريش ، حتى قال النضر بن الحارث « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم » (٦) فاستعجل العذاب (٧) .

---

(١) الطلاق / ٥ .
(٢) الإتقان في علوم القرآن ج ١ / ١٤٥ طبعة دار التراث .
(٣) تفسير القرآن العظيم ج ٤ / ٣٣٨٢ .
(٤) تفسير العلامة أبي السعود ج ٤ / ٧٣٤ .
(٥) النحل / ١ . (٦) الأنفال / ٣٢ .
(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٠ / ٦٥ .

يقول ابن كثير : وقد ذهب الضحاك فى تفسير هذه الآية إلى قول عجيب فقال فى قوله « أتى أمر الله » أى فرائضه وحدوده ، وقد رده ابن جرير ، فقال : لا نعلم أحدا استعجل بالفرائض والشرائع قبل وجودها بخلاف العذاب فانهم استعجلوه قبل كونه استبعادا وتكذيبا ، كما قال الله تعالى « يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق الا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال مبين » (١) ، (٢) .

وعلى هذا فإن المراد ب « أمر الله » فى سورة النحل - على قول الجمهور - يوم القيامة ، والتعبير ب « أتى » بمعنى يأتى فهو كقولك : « إن أكرمتنى اكرمتك » لأن اخبار الله تعالى فى الماضى والمستقبل سواء ، لأنه آت لا محالة له « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار » (٣) ، (٤) .

٦٣ - الأثارة :

قال الله تعالى « أو أثارة من علم » (٥) أى ما يؤثر عن الأولين .

وكون الأثارة فى الآية يراد بها القرآن غير ظاهر ، فإن الفيروزابادى قد ذكرها بما يروى عن الأولين فكيف يكون القرآن .

---

(١) الشورى / ١٨ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٤ / ٥٦١ .
(٣) الأعراف / ٤٤ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٠ / ٣٤٩ .
(٥) الأحقاف / ٤ .

٦٣ - الزبور :

قال الله تعالى « ولقد كتبنا في الزبور » (١) ، (٢) .
والزبور والكتاب واحد ، ولذلك جاز أن يقال للتوراة والإنجيل زبور .

زبرت : أي كتبت وجمعه : زبر .

قال سعيد بن جبير « الزبور » التوراة والإنجيل والقرآن (٣) . .إلى ذلك ذهب مجاهد والكلبي ومقاتل .

وقيل أن المراد بالزبور : زبور داود عليه السلام .

وقيل : إن الزبور هو القرآن والذكر هو التوراة ، وهو قول قتادة والشعبي (٤) .

---

(١) الأنبياء / ١٠٥ .
(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي طبعة دار التراث ج ١ / ١٤٥ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١١ / ٣٤٩ .
(٤) التفسير الكبير للرازي ج ٢٢ م ٢٢٩ من المجلد الحادي عشر .

موجز اسماء القرآن فى البيان القرآنى

رأينا فيما سبق ان المولى عز وجل قد اختص القرآن الكريم دون سائر الكتب السماوية الأخرى بعدة اسماء ، هذا إلى جانب بعض الأوصاف التى وجدت كصفات لتلك الأسماء ، حتى ان بعض العلماء قد أوصلها إلاّ نيف وتسعين اسما ، وقد اشرت إلى تلك الأسماء وصفاتها واشتقاقاتها ، ورأينا انها تنحصر فيما يلى :

١ - القرآن :

ومن صفات هذا الاسم فى البيان القرآنى ما يلى :

(١) انه غير قابل لأن يفترى ، لأنه من عند الله .

(٢) القرآن الحكيم . (٣) القرآن العجب .

(٤) القرآن العربى . (٥) القرآن العظيم .

(٦) القرآن الكريم . (٧) القرآن المبين .

(٨) القرآن ذى الذكر . (٩) القرآن المجيد .

٢ - الكتاب :

ومن صفات هذا الاسم من البيان القرآنى ما يأتى :

(١) الكتاب الذى لا ريب فيه . (٢) الكتاب المنزل .

(٣) الكتاب المبارك . (٤) الكتاب المصدق .

(٥) الكتاب العزيز . (٦) الكتاب المبين .

(٧) الكتاب المنير . (٨) الكتاب المتشابه .

(٩) الكتاب المثانى . (١٠) الكتاب المفصل .

(١١) الكتاب المتلو . (١٢) الكتاب الحكيم .

(١٣) الكتاب المهيمن . (١٤) الكتاب المسطور .

(١٥) ، (١٦) لم يجعل له عوجا قيما .

(١٧) كتاب الله .

٣ - الفرقان :

٤ - الذكر :

اسماء اخرى للقرآن الكريم فى البيان القرآنى

١ - كلام الله .
٢ - النور .
٣ - البرهان .
٤ - البلاغ .
٥ - الإمام المبين .
٦ - الروح .
٧ - البشرى .
٨ - البشير والنذير .
٩ - الهدى .
١٠ - الهادى .
١١ - الشفاء .
١٢ - التنزيل .
١٣ - البينة .
١٤ - البيان .
١٥ - التبيان لكل شىء .
١٦ - القول الفصل .
١٧ - القول الثقيل .
١٨ - حبل الله .
١٩ - الحجة البالغة .
٢٠ - الآيات البينات .
٢١ - اللسان العربى .
٢٢ - آيات الله .
٢٣ - احسن الحديث .
٢٤ - الحديث .
٢٥ - الموعظة .
٢٦ - الرحمة .
٢٧ - الحق .
٢٨ - الرسالة .
٢٩ - منادى الإيمان .
٣٠ - الحكم .
٣١ - حكمة بالغة .
٣٢ - الصدق .
٣٣ - البصائر .
٣٤ - التبصرة .
٣٥ - التصديق .
٣٦ - المنزل .
٣٧ - النبا .
٣٨ - الوحى .
٣٩ - التذكرة .
٤٠ - التفسير .
٤١ - العلى .
٤٢ - العلم .
٤٣ - الغيب .
٤٤ - فضل الله .
٤٥ - القسط .
٤٦ - القصص .
٤٧ - النعمة .
٤٨ - كلمة الله .
٤٩ - المثبت .
٥٠ - الخير .
٥١ - الصراط المستقيم .
٥٢ - العروة الوثقى .
٥٣ - النجوم .
٥٤ - الكوثر .
٥٥ - المقروء .
٥٦ - المرتل .
٥٧ - الصحف المكرمة .
٥٨ - الصحف المرفوعة .

٥٩ - الصحف المطهرة .　　٦٠ - العدل .
٦١ - امر الله .　　٦٢ - الاشارة .
٦٣ - الزبور .

الفهارس

ثبت المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

أولا : القرآن و علومه

اصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم
للدامغانى

البحر المحيط
لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان ، الأندلسى ، الغرناطى ، ت ٧٥٤هـ طبع سنة ١٣٢٨ - دار الفكر

البرهان فى علوم القرآن
للامام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشى
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . مكتبه دار التراث

بصائر ذوى التمييز فى الطائف الكتاب العزيز
لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادى
تحقيق الأستاذ محمد على النجار - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية طبعة سنة ١٣٨٣هـ

تفسير القرآن العظيم
للحافظ ابن كثير ، أبى الفداء ، إسماعيل عماد الدين بن محمد القرشى
تفسير العلامة أبى السعود

تفسير النسفى

الأتقان فى علوم القرآن
للإمام جلال الدين السيوطى ، الشافعى ، وبها مشه إعجاز القرآن للباقلانى .

والطبعة المحققه .

جامع البيان عن تاويل آى القرآن
لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ت ٢٢٤هـ - ٣١٠هـ دار المعارف الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩

الجامع لأحكام القرآن
لأبى عبد الله محمد بن احمد الأنصارى القرطبى ت ٦٧١هـ
دار الكتاب العربى ١٣٧٨هـ ١٩٦٧م

روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى لأبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى ت ١٢٧٠هـ دار التراث العربى بيروت .

غرائب القرآن .
للنيسابورى مطبوع بها حسن جامع البيان للطبرى

- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير تاليف محمد بن على بن محمد الشوكانى ت ١٢٥٠هـ

فى ظلال القرآن

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التاويل .
لأبى القاسم جار الله بن عمر الخوارزمى ٤٦٧هـ - ٥٣٨هـ

- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير

- منتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم . للامام ابن الجوزى - تحقيق محمد السيد الطنطاوى وفؤاد عبد المنعم

ثانيا : الحديث النبوى الشريف وشروحه :

- سنن الدارقطنى
للامام الكبير على بن عمر الدرقطنى ٣٠٦هـ - ٣٨٥هـ تصحيح وتعليق السيد عبد الله هاشم يمانى المدنى ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م

- سنن الدارمى
للحافظ أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ت ٢٥٥هـ تحقيق السيد عبد الله هاشم يمانى المدنى ١٣٨٩هـ - ١٩٦٦م

- سنن أبى داود السجستانى
للامام الحافظ أبو داود سليمان بن الآشعث بن إسحاق الأزدى السجستانى .
تعليق الشيخ احمد مسعد على . الطبعة الأولى ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م الحلبى

- سنن ابن ماجه
للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه ٢٠٧هـ - ٢٧٥هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى

- سنن النسائى
للحافظ ابن عبد الرحمن بن شيب النسائى . الحلبى . الطبقه ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م

- السنن الكبرى للحافظ أحمد بن الحسن البيهقى ت ٤٥٨هـ

- الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ

- صحيح البخارى
لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزيه البخارى الجعفى ت ٢٥٦هـ .

- صحيح مسلم
للامام ابو الحسين مسلم بين الحجاج بين مسلم القشيرى النيسابورى ت بنيسابور سنة إحدى وستين ومائتين بشرح النورى .

- المستدرك على الصحيحين فى الحديث
للحافظ ابى عبد الله بن عبد الله المعروف بالحاكم - دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

- المسند
للإمام أحمد بن حنبل - وبها مشه منتخب كنز للمال فى سنن الأقوال والأفعال .
طبعة بيروت مطبعة دار المعارف شرح وتحقيق الشيخ أحمد شاكر

- الموطأ
لامام الأئمة وعالم المدينة مالك بن أنس
طبعة الحلبى - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ١٩٥١م

ثالثا :

- الموافقات فى أصول الشريعة
لأبى إسحاق الشاطبى وهو إبراهيم بن موسى اللخمى الغرناطى المالكى ت ٧٩٠ه المكتبة التجارية الكبرى - تحقيق الشيخ عبد الله دراز .

- الرساله
للإمام المطلبى محمد بن ادريس الشافعى
تحقيق محمد سيد الكيلانى - الطبعة الأولى ١٣٨٨ه - ١٩٦٩

- الإسلام فى عصر العلم
تاليف محمد احمد الغمراوى

رابعا : كتب اللغة والأدب والتراجم

- تاريخ بغداد للحافظ احمد بن على الخطيب البغدادى ، أبو بكر ت ٤٦٣ه طبعة ١٩٤٨م

- المغنى
لابن هشام

- ديوان حسان بن ثابت

فهرس الآيات القرآنية

٣ - سورة آل عمران

٤ - سورة النساء

٥ - سورة المائدة

٦ - سورة الانعام

افغير الله اتبغى حكما وهو الذى انزل إليكم الكتاب مفصلا	١١٤	٦٨و٧١و١٤٩و١٥٠
وتمت كلمت ربك	١١٥	١٨٩و١٦٥
اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس	١٢٢	٩٦و١١١
قل فلله الحجه البالغه	١٤٩	١٣٣
فقد جاءكم وهدى ورحمه	١٥٧	١١٨

٧ - سورة الأعراف

وما كنا غائبين	٧	١٥٩
ونادى أصحاب النار أصحاب الجنه	٤٤	١٩١
اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم	٦٣	٨٩
وجاءو بسر عظيم	١١٦	٣٧
فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون	١٥٧	٩٥و٦٥
قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا	١٥٨	٣١
وقولوا حطه وادخلوا الباب سجدا	١٦١	٣٧
فاقصص القصص	١٧٦	١٦٠
فباى حديث بعده يؤمنون	١٨٥	١٣٥
هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون	٣٠٣	١٤٥-١٤٦
وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له	٣٠٤	٥١

٨ - سورة الأنفال

اللهم إن كان هذا الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم	٣٢	١٩٠
وما كان الله يعذبهم وأنت فيهم	٣٣	١٨٣
يوم الفرقان	٤١	٨٣

٩ - سورة التوبه

١٣ - سورة الرعد

١٤ - سورة إبراهيم

١٥ - سورة الحجر

١٦ - سورة النحل

١٧ - سورة الاسراء

١٨ - سورة الكهف

١٩ - سورة مريم

٢٠ - سورة طه

٢١ - سورة الأنبياء

٢٢ - سورة الحج

٢٣ - سورة المؤمنون

٢٤ - سورة النور

٢٥ - سورة الفرقان

٣٧ - سورة الصافات

٣٨ - سورة ص

٤٣ - سورة الزخرف

٤٤ - سورة الدخان

٤٥ - سورة الاحقاف

٤٧ - سورة محمد

٤٨ - سورة الفتح

وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفره واجرا عظيم	٢٩	٣٧

٥٠ - سورة ق

ق والقرآن المجيد	١و٣	٤٣
تبصره وذكرى لكل عبد منيب	٨	١٤٧
ونزلنا من السماء ماء مباركا	٩	٥٨
وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد	١٩	٥٣
ما يبدل القول لدى	٢٩	١٦٥

٥٢ - سورة الطور

والطور وكتاب مسطور	١-٣	٤٦و٧٦

٥٣ - سورة النجم

ولقد جاءهم من ربهم الهدى	٢٣	١١١

٥٤ - سورة القمر

حكمه بالغة فما تغنى النذر	٥	١٤٣و١٤٣
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر	٢٢	٤١
فى مقعد صدق عند مليك مقتدر	٥٥	٣٦

٥٦ - سورة الواقعة

فلا اقسم بمواقع النجوم	٧٥	١٧٧
إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون	٧٧-٧٨	٣٧و٤٩و٧٦و١٥٦و١٧٧

٥٧ - سورة الحديد

من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا	١١	٥٣
يسعى نورهم	١٣	٩٧
وانزلنا الحديد فيه بأس شديد	٢٥	١٧٧
ويجعل لكم نورا تمشون به	٢٨	٩٧

٦١ - سورة الصف

يريدون ليطفئوا نور الله	٨	٩٦

٦٢ - سورة الجمعه

فاسعوا إلى ذكر الله	٩	٨٩

٦٣ - سورة المنافقون

ولله العزة ولرسوله و للمؤمنين	٨	٦١

٦٤ - سورة التغابن

والنور الذى انزلنا	٨	٩٦

٦٥ - سورة الطلاق

ذلك امر الله انزله إليكم	٥	١٩٠

٦٨ - سورة القلم

٩٦ - العلق

اقرأ باسم ربك ١ ٨

٩٧ - سورة القدر

إنا أنزلناه فى ليلة القدر ١ ٨٦

٩٨ - سورة البينة

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ... ١ ١١٩
فيها كتب قيمه ٣ ١١٤
وذلك دين القيمه ٥ ١١٤

١٠٨ - صورة الكوثر

إنا أعطيناك الكوثر ١ ١٧٨

١١١ - سورة المسد

من مسد ٥ ١٣٣

١١٢ - سورة الاخلاص

لم يلد ولم يولد ٣ ١٦٦

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة والآثار

فهرس الأشعار

فهرس الأشعار

١- راحو بصائرهم على اكتافهم ... وبصيرتى يعدوبها عند واى
الكامل ص ١٤٦

٢- شومل رهبة مــــنى وفيها ... كــتــاب مثل مالصق الفراء
الوافر ص ٩

٣- غزاء غرقــيــة لناى خوارزها ... مشلشل ضيعته بينها الكتب
البسيط / ٤٨

٤- إن الكتــاب مهيمن لنبــنا ... والحق يــعرفه ذوو الألــباب
الكامل ص ٧٦

٥- ولنت كثير يـابن مروان طيب ... وكان لبوك ابن الفضائل كوثرا
الطويل ص ١٧٨

٦- لا تامنى فــزاريا حللت بـه ... علــى قلومك واكتبها باسيار
البسط ص ٤٨

٧- لم يحرقوا حسن الفداء وامهم ... طفحت عليك بمانق مذكار
الكامل ص ١٦٤

٨- ولفردت فى الدنيا بفقد عشيرتى ... وفار قتــى جار باربد نــافع
الطول ص ١٦٤

٩- ياواضع الميت فى قبــره ... خاطبك الدهر فلم تسمع
السريع ص ١٤٠

١٠- لقول له والرمح ياطر متنه ... تامل خفافا إننى انا ذالكا
الطويل ص ٥٣

١١- يا بنت عمى كتاب الله اخرجنى ... عنكم وهل لمنعن الله ما فعلا ؟
البسيط ص ٤٨

١٢- وإذا تجوّزها حبال قبيلــة ... اخذت من الأخرى إليك حبالها
الكامل ص ١٣٦

١٣- فلا تعجلى عز ان تنفهمــى ... بنصح لتى الواشون أم بحبول
الطويل ص ١٣١

١٤- وعربة أرض ما يحل حرامها ... من الناس إلا اللوذعى الحلاحل
الطويل ص ١٩

١٥- إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة فى المزدحم
المتقارب ص ٣٦

١٦- ضحوا باشمط عنوان السجود به   يقطّع الليل تسبيحا وقرآنا
البسيط ص ٨

١٧- تريك إذا دخلت على خلاء   وقد أمنت عيون الكاشحينا
ذراعى عيطل أدماء بكر   هجان اللون لم تقرأ جنينا
الوافر ص ٤

١٨- لسان الذى تهديها إلينا   وخنت وما حسبتك أن تخونا
الوافر ص ١٣٥

فهرس الموضوعات